# التجديد في الادب الاندلسي

الدكتور باقر سماكه

يطلب من مكتبة افاق - شارع المتنبي



# التجديد في الأدب الأندلسي

الدكتور باقر سماكه

كلية الاداب - جامعة بغداد

مطبعة الايمان - بغداد

١٩٧١

# الإهداء

| | |
|---|---|
| إليك يا ـ اندلس ـ الاحباب | يا جنة العلوم والآداب |
| يا درة مضيئة الإهاب | أضاعها البحار في التراب |
| يا غادة كريمة الأنساب | في الغرب تقضي العمر باغتراب |
| من روضك المعطر الخلاب | اهديك ما قد ضمه كتابي |

المؤلف

التجديد
في الادب الاندلسي

# مقدمـــــة

## تاريخية موجـزة

كان العرب الفاتحون قد امتدت فتوحاتهم الى مصر فالقيروان فبلاد البربر واسسوا هناك دولة ذات مدنية مرموقة وتوغلوا في افريقيا عـام ٥٠ هـ ايام خلافة معاوية بن ابي سفيان بقيادة عقبة بن نافع الذي انشأ مدينة القيروان فانتشروا في بلاد البربر في شمال افريقيا واسلم سكانها وفي سنة ٨٢ هـ عهد الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك الى موسى بن نصير بفتح الاندلس فاذن له الوليد بشرط ان يسلك نلامر مسلك الحذر والا يغرر بالمسلمين في بحر شديد الاهوال ، فجهز حملة قليلة العدة والعدد اقرب ما تكون حملة استطلاع منها الى حملة فتح (فبعث موسى بن نصير عند ذلك رجلاً من البربر يسمى طريفـاً ويكنى ابا زرعة في مائة فارس واربعمائة راجل(١) فحملتهم اربع سفن الى اقطاعة الفندال ( التي اجـر منهـا جماعات الفنداليين في هجرتهم الى افريقية فسميت باسمهم وقيل لهـا فندلس وهي اول ارض وطئها العرب من اسبانية وعرفوا اسمها فحرفوه

---

(١) المراكشي ، البيان المغرب في اخبار ملوك الاندلس والمغرب ج ٢ ص ٤ ط ، دار الثقافة ، بيروت ( لم يذكر تاريخ الطبع .

وقالوا الدلس(٢) . ( وقيل ان اول من نزل الاندلس بعد الطوفان قوم يعرفون بالاندلش ( بشين معجمة ) فسميت الاندلس ( بالسين غير معجمة(٣) ) ( ثم دخل القوط الاندلس وقطع الله ملك روما منها وعدة ملوك القوطيين ستة عشر ملكاً آخرهم لذريق(٤)

وقد بقي افراد الحملة التي قدمت الى الاندلس وقتا قصيراً حصلوا خلاله على بعض المغانم ثم رجعوا من حيث الوا ، والظاهر ان نجاح هذه الحملة شجع على التفكير بالعودة الى الاندلس فأعد موسى حملة ثانية اوسع بكثير من الحملة الاولى تضم سبعة آلاف محارب يقودهم قائد شجاع هو طارق بن زياد وكان ذلك سنة ٩٢ هـ (٥) المصادفة ٧١١ م وطارق هذا هو صاحب الخطبة الشهيرة التي خطبها في جيشه بعد عبوره مضيق الجبل الذي سمي فيما بعد بأسمه وهذه الخطبة من اهم الخطب التي سجلها تاريخ الفتوحات الاسلامية ، يقول فيها ( ايها الناس اين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الايتام على مائدة اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته واقواته موفورة وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم ولا اقوات الا ما تستخلصونه من ايدي عدوكم وان امتدت

---

(٢) البستاني ، ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث ، ص ٣ ، ط مكتبة صادر . بيروت ١٩٣٨

(٣) المراكشي ، البيان المغرب ، ج د ، ص٣ .

(٤) المصدر السابق ص ٢

(٥) ابن القوطية . تاريخ فتح الاندلس ص٥ . ط المحروسة مصر ( لم يذكر تاريخ الطبع ) .

بكم الايام على التقاركم ولم تنجزوا لكم امراً فقد ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراة عليكم فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذا الطاغية فقد القت به اليكم مدينته الحصينة وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لانفسكم بالموت ، واني لم احذركم امراً انا عنه بنجوى ولا حملتكم على خطة ارخص متاع فيها النفوس ارباً عنها بنفسي واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمعتم بالأرفه الألذ طويلاً فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه اوفر من حظي وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المؤمنين من الابطال ورضيكم لهذه الجزيرة اصهاراً واختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان وإسماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصاً لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين واعلموا اني اول مجيب الى ما دعوتكم اليه واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فأقاتله ان شاء الله تعالى فان هلكت بعده فقد كفيتكم امره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون اموركم اليه وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه فانهم بعده يخذلون ) ويروى ابن عذارى المراكشي في كتابه البيان المغرب عن الواقدي وصفاً للمعركة التي وقعت بعد ذلك بين جيشي طارق ولذريق فيقول انهم اقتتلوا من حين طلعت الشمس الى ان غربت فلم تكن قط بالمغرب مقتلة اعظم منها بقيت عظامهم في المعركة دهراً طويلاً لم تذهب ) (٦) ويذكر المؤرخ الاسباني بوستامنت

---

(٦) المراكشي البيان ص ٧

( Bustamante ) ( ان المعركة استمرت سبعة ايام من ١٩ تموز ـ ١٦ / ٧١١ م ) (٧) وتم الفتح وتوطد طارق فى الاندلس مما اثار حسد موسى بن نصير فغضب على طارق ويشير الى ذلك الطبري فيقول ( ان موسى بن نصير غضب على طارق فى سنة ٩٣ فشخص اليه في رجب ومعه علقمة بن نافع الفهري واستخلف حين شخص على افريقية ابنه عبد الله بن موسى بن نصير وعبر موسى الى طارق فى عشرة آلاف(٨)

ولعل هذه الحادثة اول اسفين يوضع فى اسس هذه الدولة الفتية واول بذرة للشقاق فى الارض الاندلسية .

لقد مرت على الاندلس ثلاثة عهود بارزة هي :

عهد الولادة : يبدأ هذا العهد بطارق بن زياد ، وقد تميز بظهور الخلافات بين البربر والعرب وبالعصبية القبلية بين الفاتحين انفسهم ، مثال ذلك ما ظهر بين القيسيين واليمانيين يضاف الى ذلك ان الجنود الشاميين الذين اسهموا بالفتح لعبوا دوراً كبيراً في البلاد وقاوموا البربر كل ذلك استدعى التفكير بتأسيس دولة قوية تستطيع ان تصمد امام اعدائها فى الداخل والخارج وقد ساعد ذلك عبد الرحمن الداخل على تأسيس هذه الدولة الجديدة وبتأسيسها بدأ الدور الثاني من عهود الاندلس حيث اصبحت قرطبة عاصمة للاندلس وذلك عام ١٣٥ ه فقطعت الخطبة لبني العباس ودعى لعبد الرحمن على المنابر ويعتبر هذا

---

(٧) C. Perez-Bustamante Compendio De . Historia De Espana P. 89 ' Madrid . 1957

(٨) الطبري ، تأريخ الامم والملوك ج٥ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ ط ، الاستقامة القاهرة ١٩٣٩

العهد عهد الأمارة المستقلة ويتميز بتعزيز السلطة الأموية وباحاطة الملك بمظاهر الأبهة وبتنظيم امور الجيش تنظيماً جديداً ولقد اسهب المؤرخون بوصف قرطبة والقرطبيين في ذلك العهد ويكفي ان نثبت ما اورده ابن بسام في ذخيرته حيث قال (وحضرة قرطبة منذ ان استفتحت الجزيرة هي كانت منتهى الغاية ومركز الراية وام القرى وقرارة اهل الفضل والتقى ووطن اولي العلم والنهى وقلب الاقليم وينبوع متفجر العلوم وقبة الاسلام وحضرة الامام ودار صوب العقول وبستان ثمرة الخواطر وبحر در القرائح ومن افقها طلعت نجوم الارض واعلام العصر وفرسان النظم والنثر وبها انتشأت التأليفات الرائقة وصنفت التصنيفات الفائقة) (٩) اما عن اهل قرطبة فيذكر ابن بسام (ان افقهم القرطبي لم يشتمل قط الا على اهل البحث والطلب لأنواع العلم والادب وبالجملة فأكثر اهل بلاد هذا الافق اشراف عرب المشرق افتتحوها وسادات اجناد الشام والعراق نزلوها فبقي النسل فيها بكل اقليم على عرق كريم فلا يكاد بلد يخلو من كاتب ماهر وشاعر قاهر ان مدح ما كثير عنده بكثير وان هجا اخرس لسان جرير (١٠) وبعد هذا العهد الاموي الذي امتد وتطور الى اعلان الخلافة الاموية على يد عبد الرحمن الثالث سنة ٣٠٠هـ بدأ العهد الثالث للحكم الاندلسي على اثر ضعف الخلافة الاموية وهو عهد ملوك الطوائف الذي تميز بتمزيق اوصال شمل الاندلس وتقسيمها الى دويلات صغيرة كالدولة الزيرية في غرناطة والدولة الهودية في

---

(٩) ابن بسام، الذخيرة، ج١ ص٢٢ ط، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة سنة ١٩٣٩.

(١٠) المصدر السابق والصفحة ـ ٢٣

من قرطبة والدولة الحمودية في قرطبة والدولتين العبادية والعامرية في اشبيلية ، وبكثرة الفتن والقلاقل بين تلك الدويلات مما مهد للاسبان المتربصين طريق العودة للاندلس ، وبعد ان استطاع الاسبانيون السيطرة على اكثر البلدان الاندلسية حاصروا غرناطة وذلك عام ٨٩٦ هـ ١٤٩٠ م فسلمها لهم آخر حاكم عربي في الاندلس هو ابو عبد الله عام ٨٩٧ هـ ( ١٤٩١ ) م ويروى ان ابا عبد الله هذا خرج من قصور الحمراء مع اهله مطأطأ الرأس يخيم عليه الحزن واليأس الشديدان وعندما كادت غرناطة وقصور الحمراء وحدائقها تختفي رويداً رويداً وقف وألقى آخر نظرة عليها ، هي نظرة الوداع وعيناه تهطلان بالدموع فقالت له امه عائشة :

ابك مثل النساء ملكاً مضاعاً      لم تحافظ عليه مثل الرجال

ولا يزال هذا المكان يعرف بزفرة المغربي والجبال التي مر بها ابو عبد الله مع اهله ـ بجبال البائسين ـ وقد قدر لكاتب هذه الصفحات مشاهدة هذه الاماكن والتعرف عليها ، وهكذا خرج العرب من الاندلس ـ الفردوس المفقود ـ

ان هذه القصة توحي لنا بشعورين متناقضين لكل منهما هواجسه وموحياته فمن ناحية انها توحي بكل معاني الفخر والاعتزاز للبطولات التي حققها الابطال الفاتحون في تلك البلاد البعيدة والمترامية الاطراف ولتلك الانجازات الحضارية الضخمة التي نجد قسماً من آثارها حتى هذه الساعة متمثلا بالآثار العربية الاسلامية الخالدة التي تلزم الاندلس

لمشاهدتها افواج السواح كل عـام من مختلف اقطـار العـالم للتمتع بمشاهدتها وبالتقاط الصور والافلام لها لما تشتمل عليه من روعة هندسية ومن دقة وجمال للزخارف والريازة والنقوش بالاحجار الكريمة ومن ناحية اخرى توحي هذه القصه المثيرة بشعور الالم والحسرة لما آلت اليه من نتيجة محزنة ومن حق قصة ضياع الاندلس ان تثير العِبرة والعَبرة .

# المجتمع الاندلسي

لقد إستهوت طبيعة الأندلس الجميلة مختلف العناصر فقدموا إليها من كل مكان في سائر العصور والأزمان فقد نزل بها الكلت والبسك والجلالقة والقرطاجيون والرومان والفندال والقوط واخيراً سكنها العرب فمن هذه العناصر الكثيرة تكون المجتمع الاندلسي بعد إمتزاجه بها وحين إستقر العرب في تلك البقعة من الأرض إختلطوا بسكانها وتأثروا بهم واثروا عليهم وتطبعوا ببعض طباعهم واتبعوا كثيراً من طرق معيشتهم في المأكل والملبس والمسكن وبإختلاط النساء بالرجال وفي نظام الحكم وغير ذلك ولكنهم كانوا يتطلعون الى امجاد آبائهم واجدادهم في المشرق ويعتبرونها المثال الذي يجب أن يحتذى به والقدوة التي يقتدى بها في مختلف نواحي الحياة والى هذا يشير ابن بسام في الذخيرة (ان اهل هذا الافق ابو الا متابعة اهل المشرق يرجعون الى اخبارهم المعتادة رجوع الحديث الى قتادة حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب اوطن بأقصى الشام والعرا قذباب لجثوا على هذا صنما وتلوا ذلك كتاباً محكما (١١):

وقد كان هم حكام الاندلس من أمراء وخلفاء تقليد العباسيين ومنافستهم في كل شيء حتى انهم عمدوا الى تسمية بلدانهم بأسماء

(١١) ابن بسام : الذخيرة ج ١ ص ٢ .

مدن المشرق كغرناطة دمشق واشبيلية حمص الى غير ذلك من الاسماء وكانوا يلقبون انفسهم بألقاب مشرقية كالرشيد والمأمون والمتوكل ويدعون الشعراء الاندلسيين بأسماء شعراء المشرق وألقابهم فأبن زيدون البحتري وابن هاني المتنبي وهكذا وكان الاتصال بين المغرب والمشرق وثيقا فالرحالة المغاربة كانوا يفدون على المشرق للتزود من العلوم والاداب والتعرف على مختلف فنون المعرفة كما رحل كثير من المشارقة الى الاندلس منهم ابو الحسن علي بن نافع المغني المعروف بزرياب وهو تلميذ اسحاق الموصلي وكان لزرياب الفضل الكبير والاثر الملحوظ في تطوير فن الغناء والموسيقى في الاندلس ويحدثنا المستشرق الاسباني اميليو غرسية غومس عن زرياب وعن الفترة التي كان يمر بها المجتمع الاندلسي وقت هجرة زرياب الى الاندلس فيقول ( بلغ التأثر المشرقي اوجه خلال هذه الفترة بوفود علي بن نافع الملقب بزرياب ( الطائر الاسود )على الاندلس فقد خرج من بغداد الرشيد ناجياً بنفسه من غيرة استاذه اسحق الموصلي فتلقاه عبد الرحمن الاوسط معاصر شرلمان ( ٢٠٦ / ٨٢١ ) ( ٢٣٨ / ٩٥٢ ) في قرطبة واغدق عليه كرمه وقد حمل زرياب الى الاندلس فيضاً من الانغام المشرقية التي ترجع في مناشئها البعيدة الى اصول يونانية وفارسية فأصبحت هذه الاغاني الاصل التقليدي لموسيقانا - اي الموسيقى الاسبانية (١٢) ويؤكد الكاتب المذكور ما ترديه الروايات الكثيرة عن زرياب فيما يتعلق بإضافته وتراً جديداً الى

---

(١٢) غومس ، الشعر الاندلسي ، ص ٣٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٦ .

الاوتار الاربعة التي كانت معروفة في الاندلس وهي الاصفر والاحمر والابيض والاسود(١٣) .

فكانت والحال هذه حياة العرب الاجتماعية في الاندلس مزيجاً من طقوس وعادات موروثة ومستحدثة ، مما تميز به المجتمع الاندلسي ظاهرة التسامح الديني فقد كان المسيحيون يتمتعون بحريتهم الدينية كاملة وكانوا يقومون ببناء الكنائس والاديرة يؤدون فيها شعائرهم الدينية وكان لهم رؤساء روحانيون والى جانب هذا التسامح وهذه الحرية كان هناك تعصب شديد فقد كان الفقهاء في كثير من الاوقات يثيرون العامة على المفكرين والفلاسفة وكل من له ميل للنظر في العلوم العقلية ولم يتحرجوا بالطلب من الامراء والخلفاء التضييق على رجال الفكر فراجت الوشايات والدسائس مما كان له الاثر السيء على مستوى العلوم العقلية ويشير الى هذه الظاهرة التي تميز بها المجتمع الاندلسي في احدى فترات مسيرته الطويلة المستشرق الاسباني آنخل جنثالث بالنثيا في كتابه تاريخ الفكر الاندلسي فيقول (كان تشدد فقهاء الاندلس مانعاً كذلك - اول الامر - من نهوض العلوم الرياضية بما فيها الفلك وكان الفقهاء يتجاوزون عن الحساب ويبيحون الاشتغال به فيما يتصل بالعمليات التطبيقية المعقدة المتعلقة بقسم المواريث وأما الفلك فقد قدر له كما يقول الاستاذ ريبيرا ان يخضع لما كان جارياً من اساليب المنع والتحريم التي كانت تصل في بعض الاحيان الى الاضطهاد البالغ القسوة وقد عبرت بهذا العلم فترات لم يكن يسمح للناس خلالها بأن يعرفوا منه الا ما لا بد منه لتحديد اتجاه قبلات المساجد وتعيين مواقيت الليل والنهار على مدار العام لتعرف اوقات الصلوات

---

(١٣) المصدر السابق ص ٣٤ .

والاستيفال من مواهيد الاهلة فالمجاوز الأنسان هذه المطالب فقد فرر بنفسه (١٤) وكان من نتائج تعصب الفقهاء الاندلسيين ان نكب الفيلسوف ابن رشد الذى يعده الكاتب الاسباني بالثيوس ( Palacios ) من الاطباء الاندلسيين(١٥) وابن بقى ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم من المفكرين ، غير ان هذه الحال لم تدم طويلا فصار النظر في العلوم العقلية في متناول الكثيرين لا يتحرج منه حتى الامراء والى هذا يشير الكاتب الاسباني بالنثيا ـ بقوله ( وكان المقتدر بن هود ٤٣٨/١٠٤٧ ـ ٤٧٣/١٠٨١ ) وابنه المؤتمن (٤٧٣/١٠٨١ـ ٤٧٧/١٠٨٥ ) أميرا سرقسطة من اكبر المعنيين بالعلوم المشاركين فيها ، فأما اولهما ـ المقتدر ـ فقد تعاطى الفلسفة والرياضيات والفلك ، وألف الثاني ـ المؤتمن كتاب الاستكمال ـ في الفلك وقد درسه موسى بن ميمون ووضع له شرحاً وقال انه جدير بأن يدرس بنفس العناية التى تدرس بهما كتاباه اقليدس وكتاب المجسطي لبطليموس ) (١٦) .

ويعلل جودث الركابي سبب التعصب الذي سيطر على المجتمع الاندلسي في الكثير من فتراته فيقول ( اما التعصب فلم يكن على درجة واحدة وقوة واحدة في مختلف الادوار التى مر بها هذا العصر ولقد كان لوجود المسلمين في بقعة تتاخمها النصرانية ويناصبهم اهلها العداء

---

(١٤) بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ص٤٤٧ ط مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٥ .

(١٥) - Miguel Asin Palacios Obras Escogidas II Y III. P. 82 Madrid . 1948 .

(١٦) بالنثيا -تاريخ الفكر الاندلسي ص ٤٥٤ - ٤٥٥ .

اثر كبير في إذكاء الشعور الديني في نفوسهم وقد ساعد الفقهاء في دعم هذا الشعور وتقويته لما لهم من اثر ديني ) (١٧) .

ومما تميز به المجتمع الاندلسي انتشار نظام الفتوة والفروسية بين الاندلسيين وكان للفتوة قوانين متبعة واصول مقررة اذا خالفها الفارس يعتبر مخلاً بشرفه ومن يدري فلعل عادة - مصارعة الثيران السائدة في المجتمع الاسباني اليوم هي من بقايا نظام الفتوة والفروسية الاندلسي مع ادخال بعض التغييرات عليهـا لان روح الفتوه والفروسية في الاندلس بقيت قوية متماسكة عصوراً طويلة تجذب اليها الانظار من شتى الاقطار ، الا ان هذه الروح لم تستطع ان تذكي في نفوس الاندلسيين في اواخر ايامهم الحماس والصمود لانهم كانوا منصرفين الى الحياة اللاهية التي كانت متعة متصلة الحلقات وكان الفرد الاندلسي منغمساً في ملذاته واهوائه لدرجة تشغله عن كل شيء لا يتصل بتلك الملذات والاهواء بسبب .

---

(١٧) الركابي - في الادب الاندلسي، ص ٤٧ - ط دار المعارف . مصر ١٩٦٠ .

# الحيــــاة

## الادبية والفكرية في الاندلس

ما كاد يتم فتح الأندلس حتى تقاطرت القبائل العربية على هذه البلاد من سائر الجهات وخاصة من الشام فاستوطنتها ومن الطبيعي ان يكون بين الوافدين بعض الأدباء والشعراء الذين شكلوا الطلائع الاولى من رجال الأدب والبيان في الربوع الأندلسية الزاهرة ، فالأدب بصورة عامة وعلى الأخص الجانب الشعري منه يحظى عند العرب ببالغ الاهتمام لأنه وسيلة التعبير عن احاسيس الجميع في آلامهم وآمالهم وهو مصدر من مصادر قوتهم استعمل في السلم والحرب ودونت فيه وقائعهم ومفاخرهم لذلك قيل ( الشعر ديوان العرب ) والأدب بما فيه الشعر لم يتأخر عن الظهور فى الاندلس ولم يقصر في مجالات الابتكار والازدهار وقد ساعدت على ذلك عوامل كثيرة منها الملكة الأصيلة والموهبة الفطرية بالإضافة الى جمال الطبيعة الاندلسية الموحي للأفكار والقرائح ولقد بلغ حرص الاندلسيين على الشعر انهم كانوا يشجعون أولادهم على نظمه حتى ان عبدالرحمن الداخل نظم الشعر رغم كثرة انهماكه وانشغاله بتأسيس الدولة الأموية وتركيز أركانها وليس أدل على ذلك من هذه الأبيات التي أوحاها له منظر نخلة رآها فى قرطبة فذكرته بنخيل المشرق وهذا أول شعر مشرقي أموي ينفذ على التربة الاندلسية :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة

تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

تذكرني شبهي في التغرب والنوى

وطول التنائي عن بني وعن أهلي

نشأت بأرض انت فيها غريبة

فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي

سقتك غوادي الحزن في المنتأى الذي

يسح ويستمري السماكين بالوبل

× × ×

وقوله أيضاً :

| | |
|---|---|
| يا نخل أنت غريبة مثلي | في الغرب نائية عن الأصل |
| فابكي وهل تبكي مكمة | عجماء لم تجبل على جبلي؟ |
| لو انها عقلت إذاً لبكت | ماء الفرات ومنبت النخل |
| لكنها ذهلت و أذهلني | بغضي بنى العباس عن أهلي |

× × ×

ولعبدالرحمن الداخل ولع شديد بالنخل الذي يرى فيه صورة من صور وطنه ، فقد روى المقري في نفح الطيب أثناء الحديث عن الداخل قائلاً : ( أتي بإمرأة لها دار بصحن الجامع فيها نخلة ، فقالت لا أقبل عوضاً إلا داراً بنخلة ولو ذهب بيت المال فاشتريت لها دار بنخلة وبولغ بالثمن ) . (١٨)

---

(١٨) المقرى ، نفح الطيب . ج ٥ ص٨ ط : عيسى البابي الحلبي -
( لم يذكر تاريخ الطبع )

ولقد ذكر شعر الداخل كثير من المؤرخين الاسبان وقالوا ان شعره يمثل حنينه لوطنه وأهله (١٩) فمن شعره الذي يمثل هذا الحنين لوطنه وأهله قوله :

أيها الراكب الميمم أرضي     اقر من بعضي السلام لبعضي
ان جسمي كما علمت بأرض     وفؤادي ومالكيه بأرض
قدر الله بيننا فافترقنا     فعسى باجتماعنا سوف يقضي

× × ×

ولم يقتصر الشعر في الاندلس على الرجال فقد كان هناك من النساء من نظمن الشعر وجودن به مثل ولادة بنت المستكفي وأنس القلوب جارية المنصور وحفصة الركونية وحسانة التميمية ، ان طبيعة الاندلس ورياضها الخضرة وأنوارها الزاهرة وأشجارها المورقة ووديانها الفيح الخضر كل ذلك أثار أخيلة الشعراء وأوحى اليهم بكل معنى جميل فأخصبت القرائح وأورقت ثمار الابداعات الشاعرية اليانعة وسنعرض شيئاً من تلك الثمار في الصفحات التالية :

يلاحظ ان من جملة ماعرف به الاندلسيون خفة الروح والظرف والشغف بالغناء وإحياء ليالي الأنس والطرب وان آلات الطرب عندهم زادت على العشرة منها الشفرة ، والرباب ، والقانون ، والبوق والزلامى والمؤنس ومنها ما لا يزال يحفظ بإسمه العربي كالعود Laud والقيثارة

---

(١٩) Varios.
Diccionario De Historia De Espana (I) P. 13. Madrid 1952

Guitarra (٢٠) وكثيراً ما كان حكام الأندلس يعقدون مجالس الشعر والموسيقى والغناء فيجمعون فيها النابغين بهذه الفن فيكرمونهم ويقلدونهم أرقى المناصب كما حصل مثلا للشاعر ابن زيدون الذي تقلد منصب الوزارة ، لقد كان شعراء الأندلس مولعين بشعر المشارقة يقتنون دواوينهم ويستفيدون منها وان انتشار الدواوين المشرقية وكثرة الوافدين من المشرق على الأندلس من الأدباء والشعراء ساعد كل ذلك على ظهور بعض الاغراض والاساليب التقليدية وقد ظل هذا التقليد زمناً طويلا حتى استطاع الشعراء الاندلسيون التحلل من قيود الالتزام به والسير على منواله فنظموا وجددوا بكثير من الاغراض الشعرية المستمدة من الواقع الاندلسي وجددوا حتى بطريقة بناء القصيدة فيما يتعلق بالوزن والقافية كما يتضح ذلك في شعر الموشحات التي سيرد بحثها مرت الحياة الادبية والفكرية في الاندلس بثلاثة عهود ، هي عهد الولاة وعهد الخلفاء وعهد ملوك الطوائف .

لقد بدأ الأدب العربي ولا سيما الشعر منه في هذه الارض الاندلسية يحبو رويداً رويداً خلال عهد الامارة وقد ظل الأدب في تطور غير واضح المعالم وكثيراً ما كان سيره يضطرب خلال الزعازع التي مرت على الاندلس وعندما بدأت معالم المجتمع الاندلسي الجديد تبرز يوماً بعد يوم كان من الطبيعي ان ينعكس هذا التقدم على مختلف أوجه النشاط الفكري بما في ذلك الحوافز الأدبية ومع ذلك فقد بدأ الأدب وكأنه صدى خافتاً لما كان يتردد في المشرق من شعر ونثر ولكن بلور

---

(٢٠) Joan Corominas

Breve Diccionario Etimologico De La Lengua Castillana. P, 304 Madrid. 1961

أدب جديد ظهرت آثارها في التربة الاندلسية بأيدي أدباء الدلسيين فظهر الشعر الغزلي والوصفي والخمري وغير هذه الأغراض المتميزة ونمت المواهب وارتفعت منزلة الادب والادباء والشعر والشعراء وهكذا كان الشعر في عهد الامارة يسير بين التقليد والتجديد ومن الملاحظ في هذا العصر ظهور بعض الأراجيز التاريخية التي اصبحت مصدراً من مصادر الدراسات الاندلسية والتي اعتمد عليها كثير من الباحثين فقد تضمنت الحوادث والمضاعفات والتطورات التي تخللت اوضاع الاندلس ومن أشهر الرجالين يحيي بن الحكم البكري صاحب ارجوزة فتح الاندلس منذ دخول طارق حتى أواخر ايام الامير عبدالرحمن بن الحكم . ولعل عدم استقرار أمور الدولة الجديدة وانشغال الناس بما فيهم الأدباء والشعراء بالاسهام بتوطيد دعائم كيانها اشغل الأذهان عن الابتكار والتجديد .

أما الأدب في عهد الخلافة فقد كان له شأن آخر يختلف عما كان عليه في عهد الامارة ، ويبدأ هذا العهد بإعلان عبدالرحمن الثالث الخلافة الاموية وهو أول خليفة أموي يسمي نفسه امير المؤمنين والى هذا يشير ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ فيقول عن عبدالرحمن ( وهو أول من تلقب من الامويين بألقاب الخلافة وتسمى بأمير المؤمنين ) (٢١)

والظاهر ان عبدالرحمن اتخذ هذه السمة تشبهاً بغيره كما يتضح ذلك مما ذكره ابن خلدون في مقدمته ( ذهب عبدالرحمن هذا الى مثل

---

(٢١) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٨ ص ٥٣٥ ، دار صادر بيروت ١٩٦٦ .

مذاهب الخلفاء بالمشرق والمغرب وتسمى بأمير المؤمنين ) (٢٢)

ويرى عبدالله عنان ان سبب هذه التسمية يرجع الى ان عبدالرحمن يرى أهليته على ما أقدم عليه ( وهكذا اتخذ عبدالرحمن سمة الخلافة عن يقين بأفضلية وأولوية حقه وحق اسرته وتسمى بأمير المؤمنين الناصر لدين الله ) (٢٣)

وكان عبدالرحمن قوي الشكيمة امام اعداء الاندلس، وكثيراً ما كان يقوم بغزوات لايقل عدد الكثير منها من المحاربين عن ( مائة الف او يزيدون ) (٢٤) ودامت دولته خمسين سنة ) (٢٥)

لقد بلغت النهضة الادبية في هذا الدور ذروة النضج والكمال ورست قواعد الحكم وتعززت اركانه واستتبت أمور الدولة واحتلت الاندلس مكانة مرموقة في المغرب والمشرق، ويذكر الكاتب الاسباني بروفنسال

---

(٢٢) ابن خلدون، المقدمة ص ٢٢٨، ط، مكتبة المثنى - بغداد ( لم يذكر تاريخ الطبع )

(٢٣) عنان : دولة الاسلام في الاندلس، ج ٢ ص ٣٩٤، ط ( لجنة التأليف والترجمة والنشر ) - القاهرة ١٩٦٠

(٢٤) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢ ص٩ ط، دار الاندلس، بيروت ١٩٦٥.

(٢٥) الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٣ ص ٣، ( مكتبة القدس - القاهرة ١٣٥٠ )

( Provencal ) (٢٦) الا عهد عبدالرحمن الناصر سهب نهضة كبيرا للاندلس في مختلف النواحي وازدهرت قرطبة بالذات وانتشرت بها المدارس فتوافد عليها الكـثيرون من ادباء الشرق يعرضون انتاجهم ومنهم من مدح الخلفاء والامراء طلباً للرفد والعطاء ، ويرى ابراهيم الابياري ان اول نازح الى الاندلس من المشرق هو خلف بن معدان أحد أجداد علي بن سعيد بن حزم واستقر في ( ليلة ) التى تقع غربي الاندلس ) (٢٧)

ومن أجلاء الادباء الذين وفدوا على الاندلس ابو علي القالي صاحب الامالي وقد نال حظوة كبيرة من الناصر وابنه المستنصر حتى ان الناصر عهد اليه بتثقيف والده المستنصر وتأديبه ، ومن أعلام الوافدين صاعد الاديب اللغوي الذي اشتغل بتدريس الادب واللغة والف كتاباً أسماه كتاب ــ النصوص على غرار كتاب الامالي للقالي ويظهر ان في هذا الكتاب ما لم يرض عنه المنصور فأمر المنصور برمى الكـتاب في البحر فقال بذلك أحد الشعراء :

قد غاص في الماء كتب النصوص
وهكـذا كل ثقيل يغوص
عاد الى معدنه إنما . . .
توجد في قعر البحار الفصوص

---

(٢٦) E. Leui Provencal Y Emilio Garcia Gomez
Una Cronica Anonima De Abd Al Rahman
III Al Nasir. P. 16 Madrid 1950

(٢٧) ابن حزم ، طوق الحمامة، المقدمة ــ ص، ب ط المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ١٩٦٤ ٥

ربما يدل على المكانة الصاعدة ما نذكر ، هذه الموسوعات المتنوعة بأخبار الاندلس من ذلك هذه الابيات في مدحه وقد اوردها ابن بسام في الذخيرة :

( واهدت له بغداد ديوان علمها
هدية من والي واتحفة من حبــا

فكان كمن حيــا الرياض بزهرها
واهدت الى صنعاء من نسجها وشيا

وحسب رواة العــلم ان يتدارسوا
مآثره حفظـاً وآثاره وعيــا (٢٨)

ويذكر ابن الاثير ( ان شاعراً للمنصور يقال له ابو العلاء صاعد بن الحسن الربعي قد قصده من بلاد الموصل واقام عنده وامتدحه)(٢٩)
طبيعي ان مجتمعاً هذه حاله وتلك مكانته من الرقي والازدهار يقصده الادباء والشعراء من كل مكان لا بد ان يكون فيه للقابليات والمواهب عناية ملحوظة وهذا ما حصل بالفعل

رغم ابداع الكثيرين من الادباء والشعراء الاندلسيين وتجديدهم الا ان رواسب الميل الى تقليد المشارقة حتى في هذا العصر المستقل المتميز بقيت تظهر في بعض آثارهم من ذلك مثلاً كتاب ـ العقد الفريد ـ لابن عبد ربه الذي اراد به منافسة الادباء المشارقة لكنه قلدهم في الموضوعات وان اختلف معهم في العرض فجمع فيه كثيراً من اخبار المشرق ولمــا

---

(٢٨) ابن بسام ، الذخيرة ، ج١ ص ٥٥
(٢٩) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٩ ص ١١٣ ـ ١١٤

وصل العقد الفريد الى المشرق قال الشارقة فيه اواتهم المعروفة ـ هذه بضاعتنا ردت الينا ـ وذلك على الرغم من الجهد البين الذي بذله المؤلف ليكون عقده فريداً وهو القائل عنه ( وسميته كتاب العقد الفريد لما فيه من مختلف جواهر الكلام مع دقة السلك وحسن النظام ) (٣٠) .

وقد وردث اشارة ضمنية لهذا التقليد الذي لم يستطع ابن عبد ربه الافلات منه وذلك في مقدمة العقد التي وضعها احمد امين وجماعته حيث ورد ( وابن عبد ربه ـ مع ذلك ـ لم يغفل الاندلس اغفالا تاماً في كتابه العقد الفريد )(٣١) ان من اهم اسباب قوة الحركة الادبية في هذا العصر رعاية المسؤولين وتشجيعهم للادباء للنهوض بالادب ليكون في مستوى النهضة العامة للدولة وبلغ اهتمام المسؤولين بالحصول على المصادر الثقافية ومراجعها درجة كبيرة فمثلا ان المستنصر كان جماعاً للكتب وانه كان يرسل البعثات الى المشرق لنسخ النفائس المخطوطات وانه اشترى نسخة من كتاب الاغاني بمبلغ الف دينار ذهبا وانه انشأ ديواناً اسماه ديوان الندماء ـ مهمته ترتيب الشعراء طبقات طبقات ويبذل العطاء لهم حسب طبقة كل واحد منهم ومستواه الشعري وانه كان يعين على رأس هذا الديوان من اكابر الشعراء وانه في غزواته كان يصطحب معه الشعراء لوصف المعارك وقيل انه اصطحب في احدى غزواته اربعين شاعراً من مختلف طبقاتهم وكانت تصوره وتصور الامــراء مقصد الادباء والشعراء لالقاء الخطب والقصائد الحماسية التي تصور الانتصارات

---

(٣٠) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج١ ، ص ٤ ـ ٥ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣

(٣١) المصدر السابق ، المقدمة ، ص ز

والأنهارات ومن تلك القصائد ما كان يتناول وصف تلك القصور وما يحيط بها من الحدائق والمتنزهات وكان لبناء جامع قرطبة الاثر القوي بإمداد النهضة الثقافية بصورة عامة والادبية بشكل خاص فقد كان هذا الجامع بمثابة معهد كبير تعقد فيه الحلقات الكثيرة لدراسة علوم اللغة وآدابها بالاضافة الى العلوم الدينية وقد اسهب المؤرخون بوصف هذا الجامع الكبير الفخم ، من ذلك مارواه المقري في نفح الطيب حيث قال ( وعدد ابوابه تسعه . ثلاثة في صحنه غرباً وشرقاً وجوفاً واربعة في بلاطاته الثاني شرقيان واثنان غربيان وفي مقاصير النساء من السقائف بابان وجميع ما فيه من الاعمدة الف وماتتان عمود وثلاثة وتسعون عموداً رخاماً كلها وباب مقصورة الجامع ذهب وكذلك جدار المحراب وما يليه قد اجرى فيه الذهب على الفسيفساء وثريات المقصورة فضة محضا ) (٣٢) ومما يبين اهمية هذا الجامع ان عدد الذين كانوا يقومون بمستلزماته من أئمة ومقرئين وامناء ومؤذنين وسدنة وموقدين وغيرهم بلغ مائة وتسعة وخمسين شخصاً وكان للجامع المذكور كل ليلة جمعة رطل عود وربع رطل عنبر يتبخر به(٣٣) ويذكر استاذنا المستشرق الاسباني خينس ( Cines ) ( ان منبر جامع قرطبة كان يتكون من سبع درجات من الخشب الفاخر المطعم بقطع من سن الفيل ) (٣٤) .

اما الحياة الادبية في عهد ملوك الطوائف ـ آخر عهود الحكم العربي

---

(٣٢) المقري : نفح الطيب ج٥ ص ١٠ ـ ١١

(٣٣) المصدر السابق ص ١٥

(٣٤) Juan. Vernet. Cines. Los Musulmanes. Espanoles P. 121. Barcelona. 1961

في الاندلس فقد كادت بين المد والجزر والتفتح والذبول تبعاً للظروف التي كان يمر بها المجتمع الاندلسي :

واما فيما يتعلق بالحياة الفكرية خلال عهود الاندلس المختلفة فقد مرت بحالات تتفاوت بالقوة والضعف شأنها بذلك شأن الحياة الادبية وقد بلغت مجدها بصورة خاصة ايام عهد عبد الرحمن الناصر وولده الحكم ، وفي عهد ملوك الطوائف تنافس الملوك انفسهم على تشجيع الفكر والمفكرين ولكن الحال قد تغيرت حينما استولى المرابطون على الاندلس فقد كانوا يميلون الى السيف اكثر من ميلهم الى القلم لذلك انحطت النهضة الادبية في عهدهم وعلى الرغم من ذلك فقد تألقت في سماء هذا العهد اسماء لامعة كخلف بن عباس القرطبي الطبيب وابن باجة الفيلسوف وابن بسام المؤرخ وكان ظهور هؤلاء الاعلام جاء امتداداً لدولة الفكر واخذ النشاط الذهني بظهور هؤلاء الاعلام يعود شيئاً فشيئا حتى جاء دور دولة الموحدين ، ان ابن تومرت مؤسس هذه الدولة هو احد ائمة الفكر لذلك كان من الطبيعي ان يمد الحياة الفكرية بما يكفل لها النماء والعطاء وقد قلده بذلك خلفاؤه وفي اواخر القرن السادس واوائل القرن السابع حققت الحياة الفكرية تقدماً ملحوظاً وظهر اعلام كثيرون مثل ابن طفيل وابن رشد وموسى بن ميمون ، وعندما بدأت مدن الاندلس تسقط تباعاً بأيدي الاسبان اضطربت دولة الفكر وغادر البلاد كثير من المفكرين وحين اسس بنو الاحمر دولتهم في غرناطة اسرعت معظم الاسر الاندلسية الى هذه الدولة وفي ظل بني الاحمر استقرت الحياة الفكرية من جديد ، ان من ابرز سمات نهضة المجهلة

الفكرية في الاندلس لتشييد المدارس والاهتمام بنسخ الكتب وتجليدها وتأسيس المكتبات العامة وارسال البعثات الى المشرق بحثاً عن المخطوطات النفيسة حتى بلغ عدد الكتب في مكتبة قرطبة وحدها ما يقرب من اربعمائة الف كتاب ولهذا كان من اليسير الهين على عامة الناس قراءة الكتب في مختلف مجالات المعرفة وعندما انطفأت شمس الاندلس انطفأت الحياة الادبية والفكرية فيها وانتهى كل شيء .

# التجـــديد

## فى الشـــعر الاندلـــي

لقد مرت الاشارة الى ان اغراض الشعر الاندلسي كان منها المقلد المترسم للشعر المشرقي ومنها الاصيل المستمد من بيئتي الاندلس الطبيعية والاجتماعية واهم تلك الاغراض الاصيلة هي .

١ـ وصف الطبيعة

٢ـ الغزل

٣ـ الخمريات

٤ـ رثاء الدول

وسنذكر شيئاً من النماذج المختارة لكل من هذه الاغراض

## وصف الطبيعة

ان الشعر الاندلسي الوصفي قد تميز بظاهرة المزج بين الوصف الوجداني والمادي وان الطبيعة الاندلسية الجميلة تبدو مشمسة وارفة الظلال حتى في اغراض لا تمت الى الطبيعة بسبب ، كغرض المدح، من ذلك مثلاً قول ابن خفاجة في المدح :

لذكرك ما هب الخليج يصفق وباسمك ما غنى الحمام المطوق

بل وحتى في غرض الرثاء البعيد كل البعد عن وصف الطبيعة وموحياتها كقوله راثياً

في كل ناد منك روض ثناء وبكل خد فيك جدول ماء

ولكل شخص هزة الغصن الندى تحت البكاء ورنة المكاء

يا مطلع الانوار ان بمقلتي اسفاً عليك لمطلع الانواء

مما يدل دلالة واضحة على ان جمال الطبيعة الاندلسية كان يسيطر على اخيلة الشعراء ويأخذ بألبابهم ولا يستطيعون التخلص من اسره الحبب، ومن ذلك الشعر الجامع بين الوصف الوجداني والمادي قصيدة ابن زيدون في حبيبته ولادة بنت المستكفي التي يقول فيها .

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا

والافق طلق ومرأى(٣٥) الارض قد راقا

وللنسيم اعتلال في اصائله

كأنه رق لي فاعتل إشفاقا

والروض عن مائه الفضي مبتسم

كما شققت عن اللبات اطواقا

يوم كأيام لذات لنا انصرمت

بتنا لها حين نام الدهر سراقا

نلهو بما يستميل العين من زهر

جال الندى فيه حتى مال أعناقا

كأن اعينه اذ عاينت ارقى

بكت لما بي فجال الدمع رقراقا

---

(٣٥) ورجه : غوميس الشعر الاندلسي ص ١٥٤

ورد تألق في ضاحي منابته
فازداد منه الضحى في العين اشراقا

سرى ينافحه نيلوفر عبق
وسنان نبه منه الصبح احداقا

كل يهيج لنا ذكرى لشوقنا
اليك لم يعد عنها الصدر ان ضاقا

لا سكن الله قلباً عن ذكركم
فلم يطر بجناح الشوق خفاقا

لو شاء حملي نسيم الصبح حين سرى
وافاكم بفتى اضناه ما لاقى

فالآن احمد ما كنا لعهدكم
سلوتم وبقينا نحن عشاقا

لو كان وفى المنى في جمعنا بكم
لكان من اكرم الأيام اخلاقا

يا علقي الاخطر الامنى الحبيب الى
نفسي اذا ما اقتنى الاحباب اعلاقا

كان التجازي بمحض الود مذ زمن
ميدان انس جرينا فيه أطلاقا

من الشعر الاندلسي ما يقتصر على وصف لقطات من الطبيعة الاندلسية الممتعة من ذلك هذه الابيات التي يصف فيها ابن خفاجة نهراً رقراقاً ينساب بين الحقول الخضر.

لله نهر سال في بطحاء   أشهى وروداً من لمى الحسناء
متعطف مثل السوار كأنه   والزهر يكنفه مجر سماء
قد رق حتى ظن قرصاً مفرغاً   من فضة في بردة خضراء
وغدت تحف به الغصون كأنها   هدب تحف بمقلة زرقاء
ولطالما عاطيت فيه مدامة   صفراء تخضب ايدي الندماء
والريح تعبث بالغصون وقد جرى   ذهب الاصيل على لجين الماء

ولابن خفاجة قوله

يا اهل اندلس لله دركم   ماء وظل وانهار واشجار
ما جنة الخلد الا في دياركم   ولو تخيرت هذا كنت اختار
لا تختشوا بعدها ان تدخلوا سقراً   فليس تدخل بعد الجنة النار

وله ايضاً

ان للجنة في الاندلس   مجتلى حسن وريا نفس
فسنا صبحتها من شنب   ودجى ظلمتها من لعس
فاذا ما هبت الريح صباً   صحت واشوقي الى الاندلس

ولابن خفاجة بوصف أراكة قوله

واراكة ضربت سماء فوقنا   تندى وافلاك الكؤوس تدار
حفت بدوحتها مجرة جدول   نثرت عليه نجومها الازهار
وكأنها وكأن جدول مائها   حسناء شد بخصرها زنار
زف الزجاج بها عروس مدامة   تجلى ونوار الغصون نثار

في روضة جنح الدجى ظل بها　　وتجسمت ناراً بها الانوار

غناء ينشر وشيه البزاز لي　　فيها ويفتق مسكه العطار

قام الغناء بها وقد لضح الندى　　وجه الثرى واستيقظ النوار

والماء من حلي الحباب مقلد　　زرت عليه جيوبها الاشجار

وله بوصف متنزه

وبجر ذيل غمامة قد لملمت　　وشي الربيع به يد الانواء

الفيت ارحلنا هناك بلدة　　مضروبة من سرحة غناء

وقسمت طرف العين بين رباوة　　مخضرة وقرارة زرقاء

وشربتها عذراء تحسب انها　　معصورة من وجنتي عذراء

حمراء صافية لتطيب بنفسها　　وغنائها وخلائق الندماء

خذها كما طلعت عليك حرارة　　مفترة عن لؤلؤ الأنداء

وللشاعر ابن الزقاق بوصف الطبيعة الاندلسية قوله

ورياض من الشقائق اضحت　　يتهادى بها نسيم الرياح

زرتها والغمام يجلد منها　　زهرات تفوق لون الراح

قلت ما ذنبها فقال مجيباً　　سرقت حمرة الخدود الملاح

والشاعر ابي الحسن بن نزار بوصف وادي أشات قوله

وادي الاشات يهيج وجدي كلما　　اذكرت ما افضت بك النعماء

لله ظلك والهجير مسلط　　قد بردت لفحاته الانداء

والشمس لرغب ان الفوز بلحظة　　منه فتطرف طرفها الاقياء

والنهر يبسم بالحباب كأنه سلخ نضته حية رقطاء

فلذاك تحذره الغصون فميلها ابداً على جنباته ايماء

وللقاضي ابي الفضل عياض بن موسى هذان البيتان

انظر الى الزرع وخاماته تحكي وقد ماست امام الرياح

كتائباً تجفل مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

ومن شعر وصف الطبيعة الاندلسية هذه الابيات لابي القاسم المالقي في وصف الروض قوله

ويوم ظللنا والمنى تحت ظله تدور علينا بالسعادة افلاك

بروض سقته الجاشرية مزنة لها صارم من لامع البرق بتاك

توسدنا الصهباء اضغاث آسه كأنا على خضر الارائك املاك

وقد نظمتنا للرضى راحة الهوى فنحن اللآلي والمودات اسلاك

وتجلى لنا فيه وجوه نواعم يطلعن بدوراً والغدائر احلاك

# الغـــزل

أما شعر الغزل فقد كان ينساب على شفاه الشعراء الاندلسيين انسياباً لاسباب كثيرة منها اختلاط الرجال بالنساء واطلاق الحـــرية الفردية مضافاً الى ذلك جمال الطبيعة الاندلسية ونبدأ المختارات من شعر الغزل بقصيدة ابن زيدون ـ اضحى التنائي ـ وهي قصيـــدة اتسمت بحرارة ولوعة الحنين لنظمها فى مناجاة ولادة ، وقد ورد فى طبعاتهـــا العديدة تحريف لبعض ابياتهـــا واعتمدنا فى تسجيلها على كامل كيـــلاني الذي جمع شعر ابن زيدون وبذل بشرحه عناية ملحوظة :

ذكرى أيام الوصال (٣٦)

اضحى التنائي بديلا من تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا

ألا وقد حان صبح البين صبحنا ... حين فقام بنا للحين ناعينا

من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم ... حزناً مع الدهر لايبلى ويبلينا

ان الزمان الذي مازال يضحكنا ... أنســاً بقربهم قد عاد يبكينا

---

(٣٦) كامل كيلاني ، ديوان ابن زيدون ص ٤ ـ ٨ ط مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٩٣٢

غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا

بأن نغص فقال الدهر آمينا

فانحل ما كان معقوداً بأنفسنا    وانبت ما كان موصولا بايدينا

وقد نكون وما يخشى تفرقنا    فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا

ياليت شعري ولم نعتب اعاديكم

هل نال حظاً من العتبى اعادينا

لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم    رأياً ولم نتقلد غيره دينا

ما حقنا ان تقروا عين ذي حسد

بنا ولا ان تسروا كاشحاً فينا

كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه

وقد يأسنا فما لليأس يغرينا

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا    شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا

نكاد حين تناجيكم ضمائرنا    يقضي علينا الاسى لولا تأسينا

حالت لفقدكم ايامنا فغدت    سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا

اذ جانب العيش طلق من تألفنا    ومربع اللهو صاف من تصافينا

واذ هصرنا فنون الانس دانية

قطافها فجنينا منه ماشينا

ليسق عهدكم عهد السرور فما    كنتم لارواحنا الا رياحينا

لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا    إن طالما غير النأى المحبينا

والله ماطلبت أهواؤنا بدلا    منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا

يا ساري البرق غاد القصر فاسق به
من كان صرف الهوى والود يسقينا

واسأل هنالك هل عنى تذكرنا
إلفاً تذكره أمسى يعنينا

ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا
من لو على القرب حياً كان يحيينا

فهل أرى الدهر يقضينا مساعفة
منه وإن لم يكن غباً تقاضينا

ربيب ملك كأن الله أنشأه
مسكاً وقدر إنشاء الورى طينا

أو صاغه ورقاً محضاً وتوجه
من ناصع التبر إبداعاً و تحسينا

إذا تأود آدته رفاهية
توم العقود وأدمته البرى لينا

كانت له الشمس ظئراً في أكلته
بل ما تجلى لها إلا أحايينا

كأنما أثبتت في صحن وجنته
زهر الكواكب تعويذاً و تزيينا

ما ضر إن لم تكن أكفاءه شرفاً
وفي المودة كاف من تكافينا

يا روضة طالما أجنت لواحظنا
ورداً جلاه الصبا غضاً و نسرينا

وربا حسانا لمليئا بزهرتها
منى ضروبا ولذات أفانينا
وربا لعبنا خطرنا من غضارته
في وشي نعمي سحبنا ذيله حينا
لسنا نسميك إجلالا و تكرمة
و قدرك المعتلي عن ذاك يغنينا
إذا انفردت وما شوركت في صفة
فحسبنا الوصف ايضاحا و تبيينا
يا جنة الخلد إبدلنا بسدرتها
و الكوثر العذب زقوما و غسلينا
كأننا لم نبت و الوصل ثالثنا
والسعد قد غض من أجفان واشينا
سران في خاطر الظلماء يكتمنا
حتى يكاد لسان الصبح يفشينا
لا غرو فى ان ذكرنا الحزن حين نهت
عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا
إنا قرأنا الأسى يوم النوى سوراً
مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا
أما هواك فلم نعدل بمنهله
شربا وإن كان روينا فيظمينا
لم نجف أفق جمال انت كوكبه
سالين عنه ولم نهجره قالينا

ولا اختياراً تجنبنــاه عن كثب
لكن عدتنا على كره عوادينا

نأسى عليك اذا حثت مشعشعة
فينــا الشمول وغنــانا مغنينــا

لا اكؤوس الراح تبدي من شمائلنا
سيما ارتياح ولا الاوتار تلهينا

دومي على العهد ـ مادمنا ـ محافظة
فالحر من دان إنصافاً كما دينا

فما استعضنا خليلا منك يحبسنا
ولا استفدنا حبيباً عنك يثنينــا

ولو صبا نحونا من علو مطلعه
بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا

أبكي وفاء وان لم تبذلي صلة
فالطيف يقنعنا والــذكر يكفينا

وفي الجواب متاع ان شفعت به
بيض الايادي التى ما زلت تولينا

عليك منا ســلام الله مــا بقيت
صبــابة بك نخفيهــا فتخفينا

ومن شعر الغزل لابن عبد ربه

يا لــؤلــؤاً يسبي العقــول انيقا
ورشا بتقطيع القــلوب رفيقــا

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله
درا يعود من الحياء عقيقا

واذا نظرت الى محاسن وجهه
ابصرت وجهك في سناه غريقا

يا من تقطع خصره من رقة
ما بال قلبك لا يكون رقيقا ؟

وله هذه الابيات الغزلية

انت دائي وفي يديك دوائي
يا شفائي من الجوى وبلائي

ان قلبي يحب من لا اسمي
في عناء اعظم به من عناء

كيف لا ، كيف ان يلذ بعيش
مات صبري به ومات عزائي

ايها اللائمون ماذا عليكم
ان تعيشوا وان اموت بدائي

ليس من مات واستراح بميت
انما الميت ميت الاحياء

ولابن عبد ربه في موقف وداع قوله

ودعتني بزفرة وعناق ثم قالت متى يكون التلاقي؟
وتصدت فأشرق الصبح منها بين تلك الجيوب والاطواق
يا سقيم الجفون من غير سقم بين عينيك مصرع العشاق

ان يوم الفراق افظع يوم ليتني مت قبل يوم الفراق

ولابن حزم قوله

وددت لوان القلب شق بمدية
وادخلت فيه ثم اطبق في صدري
فأصبحت فيه لا تحلين غيره
الى مقتضى يوم القيامة والحشر
تعيشين فيه ما حييت فإن امت
سكنت شغاف القلب في ظلم القبر

وللطرطوشي هذه الابيات

اقلب طرفي في السماء ترددا
لعلي ارى النجم الذي انت تنظر
واستعرض الركبان من كل وجهة
لعلي بمن قد شم عرفك اظفر
وامشي ومالي في الطريق مآرب
عسى نغمة باسم الحبيب ستذكر
والمح من القاه من غير حاجة
عسى لمحة من حسن وجهك تسفر

والشاعر اندلسي آخر هذه الابيات وتلاحظ فيها ظاهرة المزج بين الوصف الوجداني والمادي شأن اكثر الشعر الاندلسي

غصبوا الصباح فقسموه خدودا
واستوهبوا قضب الاراك قدودا

وراْوا حصى الياقوت دون نحورهم
فتقلدوا شـهب النجوم عقودا
لم يكفهـم حد الاسـنة والظبى
حتى اسـتعاروا اعيناً وخـدودا

وقال ابو القاسم ابن العطار

هب النسيم مع العشي فشاقني
اذ كان من جهـة الحبيب هبـوبه
قد كنت ودعـت الصبـا بوداعـه
واخو الصـبابة لا تفيـق ندوبه
فدعا الهوى لي دعوة لم اعصها
والصب راحـة قلبـه تعذيبه
لو لم اجب داعي الهوى وعصيته
لغدت جفوني بالدموع تجيبه

# الخمريات

أما شعر الخمريات فقد كان منتشراً في الاندلس كانتشار الخمرة فيها ويعتبر غرض الخمريات من اغراض الشعر الاندلسي الأصيلة فلقد عرف الاندلسيون اصنافاً عديدة من الخمر ذكروها في اشعارهم ووصفوها بمختلف الاوصاف مثل القهوة والنبيذ والمدام والراح والحمراء والصفراء وكانوا يتفننون بعقد مجالس الشراب في الرياض والمنتزهات وحتى في الزوارق التي كانت تتهادى في نهر الوادي الكبير وغيره وهذا القاضي ابو الحسن بن لبال حاكم شريش احد من وصف تلك الزوارق بقوله :

بنفسي هاتيك الزوارق اجريت
كحلبة خيل اولا ثم ثانيا

وقد كان جيد النهر من قبل عاطلا
فأمسى به في ظلمة الليل حاليا

عليها لزهر الشمع زهر كواكب
تخال بها ضمن الغدير عواليا

ورب مثار بالجناح و آخر
برجل يحاكي ارنبا خاف بازيا

ولقد برع الشعراء الاندلسيون بوصف تلك المجالس براعتهم بوصف الخمرة والكؤوس والسقاة، لنستمع الى احدهم هو ابوالقاسم

محمد بن هانئ الالبيري وهو يقول :

وبات لنا ساق يصول على الدجى
بشمعة صبح لا تقط ولا تطفي

أغن غضيض خفف اللين قده
و أثقلت الصهباء أجفانه الوطفا

يقولون حقف فوقه خيزرانة
أما يعرفون الخيزرانة و الحقفا

جعلنا حشايانا ثياب مدامنا
وقدت لنا الظلماء من جلدها لحفا

فمن كبد تدني الى كبد هوى
ومن شفة توحي الى شفة رشفا

بعيشك ليه كأسه و جفونه
فقد ليه الابريق من بعد ما أخفا

وقد فكت الظلماء بعض قيودها
وقد قام جيش الليل للفجر واصطفا

وولت نجوم الثريا كأنها
خواتم تبدو في بنان يد تخفى

× × ×

والى ابن خفاجة حين يقول :

وليل تعاطينا المدام و بيننا
حديث كما هب النسيم على الورد

لعاوده و الكأس يعبق للصحة
و أطيب منه ما نعيد وما لبدي

ولقلي أقاح الثغر او سوسن الطلى
ونرجسة الاجفان أو وردة الخد

الى ان سرت فى جسمه الكأس والكرى
ومالا بعطفيه فمال على عضدي

فأقبلت أستهدي لما بين أضلعي
من الحر ما بين الضلوع من البرد

وعاينته قد سل من وشي برده
فعاينت منه السيف سل من الغمد

لسان مجس و استقامة قامة
وهزة أعطاف و رونق افرند

أغازل منه الغصن في مغرس النقا
وألثم وجه الشمس في مطلع السعد

فإن لم يكنها او لكنه فإنه
أخوها كما قد الشراك من الجلد

تسافر كلتا راحتي بجسمه
فطوراً الى خصر وطوراً الى نهد

فتهبط من كشحيه كفي تهامة
وتصعد من نهديه اخرى الى نجد

※ ※ ※

وليه بقوله :

أحس المدامة والنسيم عليل    والظل خفاق الرواق ظليل
والنور طرف قد انبه دامع    والماء مبتسم يروق صقيل
وتطلعت من كل برق غمامة    في كل أفق راية ورعيل
حتى تهادى كل خوطة ايكة    ربا وغصت تلعة و مسيل
عطف الأراكة فالثنى شكراً له    طرباً ورجع في الغصون هديل
فالروض مهتز المعاطف نغمة    نشوان يعطفه الصبا فيميل
ريان فضضه الندى ثم انجلى    عنه فذهب صفحتيه أصيل
وارتد ينظر في نقاب غمامة    طرف يمرضه النعاس كليل
صـاح كما يرنو الى عواده    شاك ويلتمح العزيز ذليل

× × ×

وصف ابن خفاجة أحد السقاة السود هذا الوصف الطريف:

رب ابن ليل صـقانا    و الشمس تطلع غره
فظل يسـود لوناً    و الكأس تـطلع حمرة
كأنه كيس فحم    قد أرقدت فيه جمرة

ولابن عبد ربه قوله في الساقي :

بأبي من زها علي بوجه    كاد يدمى لما نظرت اليه
ناول الكأس فاستمال بلحظ    فسقتني عيناه قبل يديه

اما ابن الزقاق فيقول

واغيد طـاف بالكؤوس ضحى
وحفها والصباح قد وضحـا

والروض اهدى لنا شـقائقه
وآسـه العنبري قـد نفحا

قلنا واين الاقاح ؟ قال لنا
اودعته ثغر من سقى القدحا

فظل ساقي المدام يجحد ما
قال فلما تبسم افتضحا

وله ايضاً

اديراها على الروض المندى
وحكم الصبح في الظلماء ماضي

وكأس الراح تنظر في حباب
ينوب لنا عن الحدق المراض

وما غربت نجوم الافق لكن
نقلن من السماء الى الرياض

اما ابو بكر بن عبد الملك بن زهر يتحدث عن رفاقه السكارى وعن نفسه فيقول

وموسدين على الاكف خدودهم
قد غالهم نوم الصباح وغالني

ما زلت اسقيهم والحرب لمسلهم
حتى سكرت فنالهم ما نالني

والخمر تعرف كيف تأخذ ثأرها
اني املت انـاءها فأمالني

ولكن المعتمد وبعد ان حلقت الراح بخياله قربت البدر والكواكب اليه فصور هذه اللقطات من عالم الليل الساجي فقال

ولقد شربت الراح يسطع نورها
والليل قد مد الظلام رداء

حتى تبدى البدر في جوزائه
ملكاً تناهى بهجـة وبهـاء

وتناهضت زهر النجوم يحفه
لألاؤها فاستكمـل اللألاء

لما اراد تنزهاً في غربه
جعل المظلة فوقـه الجوزاء

وترى الكواكب كالمواكب حوله
رفعت ثرياهـا عليـه لواء

ومن الخمريات الاندلسية هذه الابيات لابن بقي

عاطيته والليل يسحب ذيله
صهباء كالمسك الفتيق لناشق

وضممته ضم الكمي لسيفه
وذؤابتاه حمائل في عاتقي

حتى اذا مالت به سنة الكرى
زحزحته شيئاً وكان معانقي

باعدته عن اضلع تشتاقه
كي لا ينام على وساد خافق

وفي نفس هذا الجو المخمور وانتهاز الفرصة قال ابو عامر بن شهيد ( بضم الشين ) .

ولما تمدد من سكره
ونام ونامت عيون العسس

دنوت اليه على بعده
دنو رفيق اذا ما التمس

ادب اليه دبيب الكرى
واسمو اليه سمو النفس

وبت به ليلتي ناعماً
الى ان تبسم ثغر الغلس

اقبل منه بياض الطلى
وارشف منه سواد اللعس

ومما يتصل بشعر الخمريات وصف الكؤوس والزجاجات التي اكثر الشعراء الاندلسيون من ذكرها وطبيعي لا مجال للتوسع بنشر اكثر مما مر ذكره من نماذج الشعر الخمري ويمكن الاكتفاء بهذين البيتين لادريس بن اليمان

ثقلت زجاجات اتتنا فرغاً
حتى اذا ملئت بصرف الراح

خلت فكادت تستطير بما حوت
ان الجسوم تخف بالارواح

مما تجدر الاشارة اليه ان الاندلسيين عرفوا برقة الطبع وخفة الروح وطلب النكتة وكثرة المزاح والظرف ممايدل على الرفاهية التى كان ينعم فيها المجتمع الاندلسي، وبين ثنايا كثيرمن الابيات الشعرية تلاحظ لطف الدعابة ، ومن تلك الابيات هذان البيتان لابن شرف القيرواني بوصف بيت صديق له .

لك منزل كملت ستارته لنا
للهو لكن تحت ذاك حديث

غنى الذباب فظل يزمر حوله
فيه البعوض ويرقص البرغوث

وعلى ذكر المجالس المرحة التي عنى بها الاندلسيون يذكر ابن سعيد فى كتابه المغرب هذه الرواية الطريفة فيقول ( اهل اشبيلية اكثر العالم طنزاً وتهكما قد طبعوا على ذلك وكان المعتمد بن عباد كثيراً ما يتستر ويشاركهم فى واديهم وفي مظان مجتمعاتهم ويمازحهم ويصقل صدأ خاطره بما يصدرعنهم ومر المعتمد ليلة بباب شيخ منهم مشهوربكثرة التندير والتهكم يمزج ذلك بحرد يضحك الثكلى فقال المعتمد لوزيره ابن عمار تعال نضرب على هذا الشيخ الساقط الباب حتى نضحك معه فضربا عليه بابه فقال من هو ؟ فقال ابن عباد ، انسان يريد ان تقدله هذه الفتيلة فقال ، والله لو ضرب ابن عباد بابي في هذا الوقت ما فتحته

فقال قالي ابن عباد قال مصفوع الف صفعة فضحك ابن عباد حتى سقط الى الارض وقال لوزيره امضي بنا قبل ان يتعدى القول الى الفعل فهذا شيخ ركيك . ولما كان من غد تلك الليلة وجه اليه الف درهـــم وقال لموصلها ، يقول هذا حق الف صفعة متاع البارحة )(٣٧)

---

(٢٧) ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ص ٢٨٧ ط دار المعارف ، مصر ١٩٦٤ .

# رثـاء الدول

من اغراض الشعر الاندلسي الاصيلغرض رثاء الـدول كما مرت الاشارة الى ذلك لانه نابع من صميم الواقع الاندلسي لظرآ لما وقع فى الاندلس من كوارث وويلات وتساقط الدول واحدة تلو الاخرى ، فى ذلك الشعر الـذي يلقي ظلاً داكناً على النفوس ويعبر عن فترات الظلام التي تخبطت فيها الاندلس هذه الابيات لابن اللبانة يرثي بهـا الدولة العبادية في اشبيلية من سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م الى سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م ) ويصف فيها اسر المعتمد بن عباد فى اشبيلية وخروجه منهـا ووقوف الكثيرين من افراد الرعية على ضفتي نهر اشبيلية يتطلعون بعيون دامعة وقلوب جازعة الى السفن التى حملت الملك الاسير وعائلته الى منفاه فى المغرب .

تبكي السماء بمزن رائح غاد
على البهاليـل من ابناء عباد
على الجبال التي هدت قواعدها
وكانت الارض منهم ذات اوتاد
يا ضيف اقفر بيت المكرمات فخذ
في ضم رحلك واجمع فضلة المزاد
ويامؤمـل واديهـم ليسـكنه
خف القطين وجف الزرع بالوادي

وأنت يا فارس الخيل التي جعلت

لتختال من عدد منها واعداد

ألقى السلاح وخل المشرفي فقد

اصبحت فى لهوات الضيغم العادى

ان يخلعوا فبنوا العباس قد خلعوا

وقد خلت قبل حمص ارض بغداد

حموا حريمهم حتى اذا غلبوا

سيقوا على نسق في حبل مقتاد

نسيت الاغداة النهر كونهم

في المنشآت كأموات بألحاد

والناس قد ملأوا العبرين واعتبروا

من لؤلؤ طافيات فوق أزباد

حط القناع فلم تستر مخدرة

ومزقت اوجه لمزبق أبراد

حان الوداع فضجت كل صارخة

وصارخ من مفداة ومن فاد

سارت سفائنهم والنوح يصحبها

كأنها ابل يحدو بها الحادي

كم سال في الماء من دمع وكم حملت

تلك القطائع من قطعات اكباد

ومن غرض رثاء الدول مرثية ابن عبدون لـدولة بني الافطس في بطليوس من سنة ٤٢١ هـ / ١٠١٠ م الى سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م )

الدهر يلجع بعد العين بالأثر
فما البكاء على الاشباح والصور ؟

فلا يغرنك من دنياك نومتها
فما صناعة عينيها سوى السهر

ما لليالي ؟ اقال الله عثرتنا
من الليالي وخانتها يد الغير

كم دولة وليت بالنصر خدمتها
لم تبق منها وسل ذكراك عن خبر

هوت بدارا وفلت غرب قاتله
وكان عضباً على الاملاك ذا اثر

واسترجعت من بني ساسان ما وهبت
ولم تدع لبني يونان من اثر

ومنها جزعه على ابناء المظفر ، ملوك الدولة

بنى المظفر والايام ما برحت
مراحلا والورى منها على سفر

سحقاً ليومكم يوما ولا حملت
بمثله ليلة في غابر العمر

من للأسرة أو من للأعنة أو
من للاسنة يهديها الى الثغر

من للبراعة او من للبراعة أو
من للسماحة او للنفع والضرر

او دفع كارثة او ردع آزفة
او فع حادثة تعمي على القدر
ويح السماح وويح البأس لو سلما
واحسرة الدين والدنيا على عمر
سقت ثرى الفضل والعباس هامية
تعزى اليهم سماحاً لا الى المطر

وفي رثاء الاندلس يقول ابو البقاء الرندي

لكل شـــيء اذا ما تم نقصان
فلا يغـــر بطيب العيش انسان
هي الامـــور كما شاهدتها دول
من ســـره زمن ساءته ازمان
وهذه الدار لا تبقي على احد
ولا يدوم على حال لهـــا شان
اين الملوك ذوو التيجان من يمن
واين منهـــم اكاليـــل وتيجان
أتى على الكل امـــر لا مرد له
حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك
كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمـــان على دارا وقاتله
وامّ كسرى فـــا آواه إيوان

ومنها :

دهى الجزيرة أمر لا عزاء له
هوى له احد وانهد ثهلان

فاسأل بلنسية ما شأن مرسية
وابن شاطبة ام ابن جيان ؟

وابن قرطبة دار العلوم ؟ فكم
من عالم قد سما فيها لها شأن

وابن حمص وما تحويه من نزه
ونهرها العذب فياض وملآن

قواعد كن اركان البلاد فما
عسى البقاء اذا لم تبق أركان

تبكي الحنيفية البيضاء من اسف
كما بكى لفراق الالف هيمان

على ديار من الاسلام خالية
قد اقفرت ولها بالكفر عمران

حيث المساجد قد صارت كنائس ما
فيهن الا نواقيس وصلبان

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة
حتى المنابر ترثي وهي عيدان

يا من لذلة قوم بعد عزهم
أحال حالهم جور وطغيان

بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم
وليوم هم في بلاد الكفر عبدان

فلو تراهم حيارى لا دليل لهم
عليهم من ثياب الذل ألوان

ولو رأيت بكاهم عند بيعهم
لهالك الأمر واستهوتك احزان

يا رب ام لطفل حيل بينهما
كما تفرق ارواح وابدان

وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت
كأنما هي ياقوت ومرجان

يقودها العلج عند السبي مكرهة
والعين باكية والقلب حيران

لمثل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان في القلب اسلام وايمان

---

# أثــر

## الشعر الاندلسي في الشعر المغربي

ان التجديد في الشعر لم ينحصر في الاندلس في ابان نهضتها بل امتد منها الى اجزاء من المغرب العربي ويقصد بالمغرب العربي المنطقة الممتدة من غربي ليبيا الى المحيط الاطلسي وكانت تشمل الاندلس من اسبانيا ويقسم الجغرافيون المغرب الى ما يلي

اولا ــ المغرب الادنى : وهو الاسم المعروف بأسم تونس .

ثانياً ــ المغرب الاوسط : وهو القسم المعروف بأسم الجزائر ، وما يلي ذلك يعرف بالمغرب الاقصى ، ولكي يكون بالامكان التعرف على شيء من الاغراض والاساليب الشعرية المغربية وعلى مدى اثر الشعر الاندلسي في تلك الاغراض والاساليب نذكر شيئاً موجزاً من ابيات شعر مغربي في اغراض مختلفة :

قال الشاعر الفقيه ابو محمد بن صمنة الصقلي وقد ورد ذكره في الخريدة للعماد الاصفهاني الذي (وصفه بحسن المحاضرة والمحاورة وطيب المفاكهة والمذاكرة واستضافة علم الشعر الى علم الشرع وظرافة الطبع ) (٣٨)

---

(٣٨) العماد الاصفهاني-خريدة القصر وجريدة الدهر ، القسم الرابع ج ١ ص ١٩ ط الرسالة مصر ١٩٦٤

تركوا العتاب وجانبوا العتبا
فألومهم وانلهم العتبى

واصفح لهم عما جنوا كرماً
حباً لهم وكرامة حبا

احبابنا لي عندكم مقة
نهبت جميع اساءتي نهبا

ومحبة في الصدر ثابتة
محت الذنوب فلم تدع ذنبا

اوليتكم مني صحيح هوى
فسقى مريض سقامكم طبا

وجزيتكم بقطيعة صلة
وحلت ما حلت مع اعبا

ووردت ملحاً ماء ودكم
فشربته وسقيتكم عذبا

ومن الشعر الوجداني هذه الابيات للشاعر عبد الحليم بن عبد الواحد السوسي

قالت لأترابٍ لها يشفعن لي
قول امرىء يزهى على اترابه

وحياة حاجته اليَّ وفقره
لأواصلن طلابه بطلابه

ولأمنعن جفونه طعم الكرى
ولأمزجن دموعه بشرابه

لم باح باسمي بعدما كتم الهوى ؟
دهراً وكان صيانتي اولى به

ولهذا الشاعر قوله :

شكوت فقالت كل هـذا تبرم
بحبي اراح الله قلبك من حبي

فلما كتمت الحب قالت لشدما
صبرت وما هذا بفعل شجي القلب ؟

فأدنو فتقصيني فأبعـد طالباً
رضاها فتعتد التباعد من ذنبي

فشكواي تؤذيها وصبري يسوؤها
وتجزع من بعدي وتنفر من قربي

لم يقتصر الشعر المغربي على الاغراض الوجدانية بل تناول وصف الطبيعة والمتنزهات مثل الشعر الاندلسي ، من هذا الشعر الوصفي قول عبد الرحمن بن ابي العباس الكاتب الأطرابنشي بوصف متنزه يعـرف بمتنزه الفوارة ويلاحظ فى آخر الابيات المزج بين الوصفين الوجداني والمادي وهو مما تميز به الشعر الاندلسي المجدد .

فوارة البحرين جمعت المنى
عيش يطيب ومنظر يستعظم

قسمت مياهك في جداول تسعة

يا حبـذا جريانها المتبسم

في ملتقى بحريك معترك الهوى

وعلى خليجيك للغرام مخيم

لله بحر للنخلتين وما حوى الـ

بحر المشيد به المقام الاعظم

وكأن ماء المفرجين وصفوه

در مذاب والبسيطة عنـدم

وكأن اغصان الرياض تطاولت

ترنو الى سمك المياه وتهم

والحوت يسبح في صفاء مياهها

والطير بين رياضها تترنم

وكأن نارنج الجزيرة اذزها

ناراً على قضب الزبرجد تضرم

وكأنما الليمون صفرة عاشق

قد بات من الم النوى يتألم

ولم يخل الشعر المغربي من الالتفات الى بعض المعاني المادقة مع ذلك هذان البيتان لابي القاسم الوداني :

ترفق بنفسك لا تضنها

بحرص فحرصك لا ينفـع

فكم عاجز واسع ماله
وكم حازم فقره مدقع

وهذان البيتان لابي علي احمد بن محمد

اذا ما اراد المرء اكرام نفسه
رعاها ووقاها القبيح وزينا

ووالله هو لم يبخل بها ولهانها
ولم يرعها كانت على الناس اهوانا

---

# الموشحات والازجال

## الاندلسية

لقد تميز الادب الاندلسي فيما تميز بظهور فنون شعرية عديدة مثل الدوبيت والقوما والكان وكان والموال ولكن اكبر تلك الفنون واهمها الموشحات والازجال ويعتبران شقيقين تجمعهما صفات كثيرة منها انهما فنان غنائيان، ومن تلك الصفات الجامعة بينهما تشابه الموضوعات والاوزان والقوافي والمقاطع. فالموشحات والازجال الاندلسية اهم فنين ادبيين ظهرا في الشعر الاندلسي وقد اضفى ظهورهما ميزة خاصة تميز بها هذا الشعر حتى اعتبرا من اجمل الفنون الشعرية في جميع ادوار الشعر العربي.

# الموشحات

## سبب تسميتها

اجمعت الروايات المعنية بدراسة فن الموشحات على ان سبب تسمية الموشحات بهذا الاسم (لان خرجاله واغصانه كالوشاح وهو كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف احدهما على الاخر لتوشح المرأة به وهو ايضاً سير منسوج من الجلد يرصع بالجواهر لشده المرأة بين عاتقها وكشحيها)(٣٩) وان اول من ابتكر هذا الفن الشعري هو مقدم بن معافى القبري من شعراء الامير عبدالله بن محمد واخذه عنه ابو عمر احمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد وكثير من الشعراء الاخرين.

## اصل الموشحات

هناك تعدد بالاراء حول اصل نشأة هذا الفن الذي ظهر فى الاندلس فى اواخر القرن الثالث الهجري وانما وازدهر خلال القرن الرابع فمن تلك الآراء ما يزعم بأن اصل فن الموشحات فرنسي وحجة اصحاب هذا الرأي ان فرقاً من المغنين تسمى فرق التروبادور كانت تؤم البلاد الاسبانية من جنوب فرنسا لتغني للنبلاء والموسرين طلباً للرفد والعطاء

---

(٣٩) مصطفى عوض الكريم ، فن التوشيح ، ص١٨ ، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٩ .

بأوزان ومقاطع لها شبه كبير بأوزان ومقاطع الموشحات الاندلسية ، ومن تلك الآراء ما يرجع اصل الموشحات الى المشرق ويرى اصحاب هذا الرأي ان اول من ابتكرها هو ابن المعتز بالموشحة التي مطلعها

ايها الساقي اليك المشتكى قد دعوناك وان لم تسمع

غير ان الشيء الثابت هو ان الموشحات اندلسية وانها من صنع الشعراء الاندلسيين لأن الشبه بين اوزان ومقاطع الموشحات وبين اوزان ومقاطع اغاني التروبادوريين ليس معناه ان الاندلسيين قد اخذوا هذا الفن منهم لان الذي جعل التوافق بين هذه الاوزان والمقاطع هو الغناء وطبيعته ولا بد ان تكون مقومات هذا الشعر الغنائي قريبة الشبه بعضها لبعض يجمعها تناسب الاوزان والمقاطع وانسجامها مع دقات الاوتار وادوات الغناء ، كما ان نسبة الموشحات الى المشرق والى ابن المعتز بالذات امر مردود اذ وضح ان موشحة ، ايها الساقي - لم تكن فى الواقع لابن المعتز وان الذى نظمها الوشاح الاندلسي (ابو بكر محمد بن زهر الاشبيلي المتوفى عام ٥٩٥ هـ ) ويلاحظ خلوما نشر من شعر لابن المعتز من هذه الموشحة وعدم نسبة غيرها له من الموشحات ، والى اصل نشأة الموشحات يقول ابن خلدون في مقدمته (اما اهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق الغاية استحدث المتأخرون منهم فناً سموه بالموشح ينظمونه اسماطا واغصاناً اغصانا ) (٤٠) .

ويؤكد شوقي ضيف حقيقة نسبة الموشح الى الاندلس فيقول (والذي

---

(٤٠) ابن خلدون المقدمة ، ص ٥٨٣

انواع الموشحات :

تنقسم الموشحات الى نوعين ـ الاول ـ التام

وهو الذي يبدأ بالقفل وينتهي بالبيت

وبالثاني ـ الاقرع

وهو الذي يبدأ بالبيت وينتهي بالقفل، والقفل نوعان بسيط ومركب شأنه شأن البيت في الموشحة ، فالبسيط ماتألفت أشطره دون ان تكون تلك الاشطر مقسمة الى فقرات متعددة ، أما المركب فهو ما كانت أشطره مقسمة الى فقرات ، وقد يكون القفل اكثر من شطرين اما البيت فيكون عادة من عدة اشطر بخلاف المعروف في القصيدة التقليدية المألوفة التى يكون البيت فيها من شطرين وللايضاح نورد بعض الامثلة للاقفال والابيات بنوعيها البسيط والمركب :

رب ليل ظفرت فيه بالبدر ونجوم الليل لم تدر

هذا قفل بسيط لانه لم يقسم الى فقرات كالقفل الآتي :

من ولي١ ـ في أمة لم يعدل٢ـ يعزل ـ الا لحاظ الرشاء الاكحل

ففي كل شطر من هذا القفل فقرتان أشير اليهما بالارقام :

---

(٤٦) ممدوح حقي ، العروض الواضح ، ص ١٤٣ ط دار اليقظة العربية ، دمشق ١٩٤٠

لاسؤال - من مبتلى٢ - ينحت في صامت ٣ - لينال١ — ما املا٢ - والامر للشامت ٣ — هذا القفل مركب ، كل شطر منه قسم الى ثلاث فقرات لكل منها رويها الخاص .

أما البيت البسيط فمثاله :

انهض وباكر للمدام العتيق

في كأسها تبدو كلون العقيق

بكف ظبي ذي قوام رشيق

ومثال البيت المركب من فقرتين هو :

جرت في١ حكمك في قتلي يا مسرف٢

فانصف — فواجب ان ينصف المنصف

وارأف — فإن هذا الشوق لا يرأف

ولوجدامثلة كثيرة الاقفال والابيات البسيطة والمركبة يمكن الاطلاع عليها عند ذكر بعض الموشحات المختارة فى الصفحات التالية ، أما الخرجة فى القصيدة الموشحة فهي آخر قفل فيها ويجوز فيها اللحن وان تكون عامية وان يضمن الوشاح بعد تمهيد مناسب قفل وشاح آخر ينسجم معناه وقافيته ووزنه مع معنى وقافية ووزن أقفال الموشحة كما حدث فى موشحة لسان الدين بن الخطيب حيث جعل خرجتها قفلا من الموشحة التى عارضها لابن سهل وسيأتي ذكر الموشحتين المذكورتين ، والخرجة تعني خروج الشاعر من الموشحة وإيذاناً بنهايتها .

## أشهر الوشاحين :

من أشهر الوشاحين على سبيل المثال لا الحصر محمد بن زهر الاشبيلي وأبو اسحاق ابراهيم بن سهل ولسان الدين محمد بن عبدالله الخطيب وتلميذه ابن زمرك وابن عبادة بن ماء السماء وعبادة القزاز وابن اللبانة والاعمى التطيلي وابن باجة ، ومن طريف ماروى عن ابن باجة ويعطي فكرة عن أهمية فن الموشح ومدى اهتمام حكام الاندلس بالمجيدين من الوشاحين، هذه الرواية التي أوردها ابن خلدون في مقدمته عن الحكيم الشاعر ابن باجة حيث قال عنه ( انه حضر مجلس مخدومه ابن تيفلويت صاحب سرقسطة فألقى على بعض قيانه موشحته :

جرر الذيل اي جر . وصل الشكر منك بالشكر

فطرب الممدوح لذلك . لما ختمها بقوله :

عقد الله راية النصر لامير العلا أبي بكر

فلما طرق ذلك التلحين سمع ابن تيفلويت صاح واطرباه وشق ثيابه وقال ما احسن مابدأت وختمت وحلف بالايمان المغلظة لا يمشي ابن باجة الى داره إلا على الذهب ، فخاف الحكيم سوء العاقبة فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه ) ( ٤٧ )

### موشحة الاشبيلي :

يعتبر أبو بكر محمد بن احمد بن زهر الاشبيلي من ابرع الوشاحين وقد تميزت موشحاته بالاضافة الى رقة معانيها بسلاسة الفاظها ، مما يروى

---

(٤٧) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٥٨٤

عنه انه سئل ذات يوم عن مسألة لغوية لم يستطع الاجابة عنها وكان ذلك بحضور جماعة فاعتراه الخجل وأقسم ان يقيد رجليه بالحديد ولا يرفع هذا القيد الا بعد ان يلم بشوارد اللغة وغريبها فشاهدته امه على هذه الحالة فأصابها شيء من الذهول فقال :

ريعت عجوزي ان رأتني لابساً
حلق الحديد ومثل ذاك يروع
قالت جننت ؟ فقلت بل هي همة
هي عنصر العلياء والينبوع
من الفرزدق سنة فتبعتها
اني لما سن الكرام تبوع

ومات هذا الشاعر قتيلاً من قبل امير قرطبة الزبير لهجائه له يقول في موشحته :

ايها الساقي اليك المشتكى قد دعوناك وان لم تسمع
ونديم همت في غرته
وبشرب الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الكأس اليه واتكا وسقاني اربعاً في اربع
ما لعيني عشيت (٤٨) بالنظر
انكرت بعدك ضوء القمر

(٤٨) شقيت : ابن سعيد ، المغرب ، ص ٢٧٢

واذا مـــا شئت فاسمع خبري

عشيت عيناي من طول البكا  فبكا بعضي على بعضي معي

غصن بان مال من حيث استوى

بات من يهواه من فرط الجوى

خفق الاحشاء موهون القـــوى

كلما فكر بالبين بكى  ويحه يبكي لما لم يقع

ليس لي صبر ولا لي جلد

يا لقومي عـذلوا واجتهـدوا

انكـروا شـكواي ممـا اجـد

مثل حالي حقه ان يشتكي  كمد اليأس وذل الطمع

كبـد حـــرى ودمـــع يكف

يعرف الـــذنب ولا يعـــترف

ايهـــا المعرض عمـــا اصف

قد نما حبك عندي وزكا  لا تقل في الحب اني مدعي

ومن موشحة للشاعر الاشبيلي قوله

ســـلم الامـــر للقضـــا  فهـــو للنفس انفـــع

واغتنم حين اقبـلا

وجه بـدر تهـلـلا

لا تقل بالهموم لا

كل ما فات وانقضى　　ليس بالحزن يرجع

واصطبح بابنة الكروم

من يدي شادن رخيم

حين يفتر عن نظيم

فيه برق قد اومضا　　ورحيق مشعشع

الا الذي مهوى رشا

اهيف القد والحشا

صلي الحسن فانتشى

مد لولى واعرضا　　فلفؤادي يتقطع

من لصب غدى مشوق

ظل في دمعه غريق

حين امو حمى العقيق

واستقلوا بذي الفضا　　أسلي يوم ودعوا

موشحة ابن سهل

من الوشاحين الاندلسيين المجودين بفن التوشيح ابو اسحاق ابراهيم بن سهل شاعر اشبيلية ولد ابن سهل في اوائل القرن السابع الهجرى ومات غرقاً عام ٦٤٩ /١٢٥١ م ومن اشهر موشحاته موشحة ـ هل درى ظبي الحمى ان قد حمى ـ وقد عارض هذه الموشحة كثير من الوشاحين القدامى والمحدثين واشهر تلك المعارضات موشحة لسان الدين بن الخطيب التي سيأتي ذكرها وموشحة احمد شوقي التي يقول في مطلعها الاول :

من لنضو يتنزى الما　　برح الشوق به في الغلس

حتى للبان وناجى العلما
اين شرق الارض من اندلس

موشحة ابن سهل — وهي من النوع التام كسابقاتها —

هل درى ظبي الحمى ان قدحمى
قلب صب حله عن مكنس
فهو في حر وخفق مثلما
لعبت ريح الصبا بالقبس

× × ×

يا بدوراً اطلعت يوم النوى
غرراً تسلك بي نهج الغرر
ما لنفسي في الهوى ذنب سوى
منكم الحسن ومن عيني النظر
اجتني اللذات مكلوم الجوى
والتداني من حبيبي بالفكر
كلما اشكوه وجدى بسما
كالربى بالعارض المنبجس
اذ يقيم القطر فيها مأتما
وهي من بهجتها في عرس

× × ×

غالب لي غالب بالتؤدة
بأبي افديه من جاف رقيق

ما رأينا مثل ثغر نضده
الحواناً عصرت منه رحيق

اخذت عيناه منه العربدة
وفؤادي سكره ما ان يفيق

فاحم اللمة معسول اللمى
اكحل الحظ شهي اللعس

وجهه يتلو الضحى مبتسما
وهو في اعراضه في عبس

× × ×

ايها السائل عن جرمي لديه
لي جزاء الذنب وهو المذنب

اخذت شمس الضحى من وجنتيه
مشرقاً للشمس فيه مغرب

ذهبت ادمع اجفاني عليه
وله خد بلحظي ملهب

ينبت الورد بغرس كلما
لاحظتة مقلتي في الخلس

ليت شعري اي شيء حرما
ذلك الورد على المغترس ؟

كلما اشكو اليـه حرقي
غـادرتني مقلتـاه دنفـا

تركت الحافظه من رمقي
اثر النمل على صم الصفا

وانا اشـــكره ليا بنفـــسي
لست الحاه على ما اتلفا

فهو عندي عادل ان ظلما
وعذولي لطاقـــه كالخرس

ليس لي في الحب حكم بعدما
حل فى النفس محل النفس

اضرم الدمع بأحشائي ضرام
تتلظى كل حين ماتشـــا

هي في خديه برد وسلام
وهي ضر وحريق في الحشا

اتقي منه على حكم الغرام
اسد الغاب واهواه رشـــا

قلت لما ان لبدى معلما
وهو من الحافظه في حرس

ايهـــا الآخـــذ قلبي مغنما
اجعل الوصل مكان الخمس

# موشحة ابن الخطيب

لقد مرت الاشارة الى ان لسان الـدين محمد بن عبد الله بن الخطيب قد عارض موشحة ابن سـهل السابقة بموشحة - من النوع التـام - تعتبر من انجح الموشحات الاندلسية لفظا ومعنى ، وابن الخطيب هذا ولد في غرناطة عام ٧١٣هـ ولمكانته بلغ مركز الوزارة في عهد ابي الحجاج يوسف سلطان غرناطة وقد اهتم بالفلسفة والتفلسف بوقت كان النظر في العلوم العقلية ومنهـا الفلسفة غير مرغوب فيه كما مربيان ذلك فأفتي بعض الفقهاء باء لحاده فسجن وتسلق جدار السجن قسم من العـامة الغوغاء فخنقوه حتى مات وذلك عام ٧٧٦ هـ اما موشحته فهي .

جادك الغيث اذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما
في الكرى او خلسة المختلس

× × ×

اذ يقود الدهر اشتات المنى
ننقل الخطو على ما نرسم
زمـراً بين فرادى وثنى
مثلما يدعو الوفود الموسم

والصبا قد جلل الروض سنا
فالثغور الزهر فيه تبسم
وروى النعمان عن ماء السما
كيف يروي مالك عن انس
فكساه الحسن ثوباً معلما
يزدهي منه بأبهى ملبس

× × ×

في ليال كتمت سر الهوى
بالدجى لولا شموس الغرر
مال نجمُ الكأس فيها وهوى
مستقيم السير سعد الاثر
وطَر ما فيه من عيب سوى
انه مر كلمح البصر
حين لذ النوم شيئاً او كما
هجم الصبح هجوم الحرس
غارت الشهب بنا او ربما
اثر فينا عيون النرجس

× × ×

اي شيء لامرىء قد خلصا
فيكون الروض قد مكن فيه
تنهب الازهار فيه الفرصا
أمنت من سكره ما تتقيه

قمـــر اطلع منه المغرب

شقوة المضنى به وهو سعيد

قد تساوى محسن او مذنب

في هواه بين وعد ووعيد

احور المقلــة معسوك اللمى

جال في النفس مجال النفس

سدد السهم فأصمى اذرمى

بفـؤادي نبلــة المفترس

ان يكن جار وخاب الامل

وفؤاد الصب بالشوق يذوب

فهو للنفس حبيـب اول

ليس في الحب لمحبوب ذنوب

امـــره معتمـل ممتثـل

في ضلوع قد براها وقلوب

حكم اللحظ بها فاحتكما

لم يراقب في ضعاف الانفس

ينصف المظلـوم ممن ظلما

ويجازي البر منها والمسي

× × ×

ما لقلبي كلما هبت صبا

عاده عيد من الشوق جديد

كان في اللوح له مكتبا

قوله ( ان عذابي لشديد )

طلب الهم له ولهوصبا

لهو للاشجان في جهد جهيد

لاعج في اضلعي قد أضرما

فهي نار في هشيم اليبس

لم يدع من مهجتي الاذما

كبقاء الصبح بعد الغلس

× × ×

ثم يصل ابن الخطيب الى مدح الغني بالله محمد بن ابي الحجاج احد ملوك بني الاحمر : فيقول

سلمي يا نفس في حكم القضا

واعمري الوقت برجعى ومتاب

واتركي ذكرى زمان قد مضى

بين عتبى قد تقضت وعتاب

واصرفي القول الى المولى الرضي

ملهم التوفيق في ام الكتاب

الكريم المنتهى والمنتمى

اسد السرج وبدر المجلس

ينزل النصر عليه مثلما

ينزل الوحي بروح القدس

× × ×

مصطفى الله سمي المصطفى

الغنى بالله عن كل احد

من إذا ما عقد العهد وفى

وإذا ما فتح الخطب عقد

من بني قيس بن سعد وكفى

حيث بيت النصر مرفوع العمد

حيث بيت النصر محمي الحمى

وجنى الفضل زكي المغرس

والهوى ظل ظليل خيما

والندى هب الى المغترس

× × ×

هاكها يا سبط انصار العلى

والذي إن عثر الدهر أقال

غادة ألبسها الحسن ملا

تبهر العين جلاء وصقال

عارضت لفظاً ومعنى وحلى

قول من انطقه الحب فقال

(هل درى ظبي الحمى ان قد حمى

قلب صب حله عن مكنس)

(فهو في حر وخفق مثلما

لعبت ريح الصبا بالقبس)

# الازجـال

يمثل الزجل الفن الثاني المجدد بعد الموشح وانما سميت القصائد التي تنظم وفق قواعده بالازجال لانها تنشد وتصوت ولذلك سمي نوع من الحمام ـ بالحمام الزاجل ـ اي المصوت ـ والزجل ظهر بعد الموشـح والى ذلك يشـير ابن خلدون في مقدمته ( ولما شاع التوشيح في اهـل الاندلس واخذ به الجمهور لسلامته وتنميق كلامه وترصيع اجـزائه نسجت العامة من اهل الامصـار على منواله ونظمـوا في طريقتهم بلغتهم الحضـرية من غير ان يلتزموا فيـه إعراباً واستحدثوا فناسموه بالزجل ) ( ٥٠ ) وتنظم الزجلية عادة وتبدأ بشطرين يسميان ـ المركز ـ وهو يقابل القفل في الموشحة ثم تلي المركز اشـطر تتكون من ثلاثة على الاغلب وتكون قوافيها الثلاث متشابهة ثم يلي هذه الاشـطر الثلاثة شطر تكون قافيته مثـل قافية آخر شطر في المركز كما سيلاحظ ذلك في النماذج المختارة ، اما الخرجة فأن اشطرها تختلف عن اشطر الزجليـة اما من ناحية الوزن او اللفظ، ان الزجل ينظم باللغة العامية الدارجة وان الازجال كانت تنشد فى المناسـبات العامة وفى الشـوارع والطرقات مصـحوبة بآلات الموسيقى والطرب كمناسبات الاعراس والاعيـاد ومواسم الحصاد والقطاف وكثيراً ما كان الناس يشتركون مع الزجال بترديد قسم من مقاطع ازجاله ،

---

(٥٠) المصدر السابق ص ٥٨٥

ان المراجع القديمة والحديثة التى تتحدث عن الزجل قليلة والما نوجد عنه روايات متناثرة في بعض المصادر والمراجع ، من المراجع الهامة القليلة كتاب ( العاطل الحالي ) للشاعر صفي الدين الحلي وكتاب (ملح الزجالين) لابن الدباغ الاندلسي ويعتبر ديوان ابن قزمان الذي يضم ١٤٩ زجلية اهم مصدر لدراسة الزجل والتعرف عليه وقدتم نسخ هذا الديوان في مدينة صفد وذلك في منتصف القرن السادس الهجري واهتم بطبعه ونشره دافيد جونز برج عام ٨٩٦ فكان موضع اهتمام للدارسين ، ان الزجل على ما يبدو جاء صقلاً وتطويراً للاغنية الشعبية القديمة وقد نظم فيه كثيرون سبقوا ابن قزمان كالشيخ ابن نمارة ويخلف بن راشد والبلارج القرموني وغيرهم ممن وضعوا للزجل بعض الاصول والقواعد ومن اعلام الزجالين ابو عمر بن الزاهر وابو عبد الله بن خاطب وابو بكرم صارم الاشبلي (٥١) غير ان اكثر الزجل الجيد هو للزجال ابن قزمان لهذا لا يذكر الزجل الا مقروناً بابن قزمان ولا يذكر ابن قزمان الا مقروناً بالزجل ، ان الزجل قد مر بمراحل تطويرية عديدة اهمها :

١ ـ مرحلة الاغنية الشعبية القديمة التى لم تكن لها اصول وقواعد

٢ ـ مرحلة تجديد وتطوير تلك الاغنية بوضع الاصول والقواعد لها

٣ ـ مرحلة النضج والتكامل على يد ابن قزمان فمن هو ابن قزمان ؟

انه محمد ابن عبد الملك المكنى بأبي بكر ولد في قرطبة ( ٤٦١ هـ/١٠٦٩م) وتوفى سنة ( ٥٥٤ هـ / ١١٦٠ م ) واختص بنظم الزجل وآثره على غيره من فنون الشعر الاخرى ويذكر عنه الكاتب الاسباني غومس (Gomes) ان ابن قزمان نظم في اللغة العربية الفصحى أيضاً ولكن اكثر شعره

---

(٥١) ابن سعيد : المغرب ، ج١ ص ٢٨٣ ـ ٢٨٥

الجيد هو في الزجل(٥٢) فهو بحق امير الزجل والزجالين وله زجل كبير بمدح يوسف بن تاشفين امير الموحدين(٥٣) من ذلك قوله :

مثل بن تاشفين يقال امير
والخلافة من بعد عادت تسير
بارك الله في هذا الايام
تجى اعوام اذا مضت اعوام
ويجعلهم سلاطين اسلام
ونصرهم كماه لعم النصير
ذاه سلطان كما يقال سلطان
ان يحكم بالسنة والقرآن
وذكالس لقس عليه شيطان
حتى لس كان بلى غير يسير

يلاحظ قسم من الكلمات غير واضحة مثل - كماه - فمعناها - كما هو لان ه التى تشبه رقم ٥ تقابل هو وذاه - تقابل - هو- واه - تقابل -انه- وذكا معنا - ذكاه - ولس معناها . وليس - ولى - معناها - وله

ومن ازجال ابن قزمان هذا القسم من زجلية نظمها بوصف الي

---

(٥٢) Emilio Garcia Gomes Cinco Poetas Musulmanes P. 149 Madrid 1944

(٥٣) Miguel Asin Palacios. Crestomatia De Arabe Literal Con Closario y Elementos De Gramatica P. 152 Madrid 1936 .

يخطر البلشي الصراف وقد وصف فيها قدرة الصراف هذا على السهر وكثرة الشراب :

الما يحمل الشراب صب صب
وترلو ثم فاللطيع عب عب
وه هابط لمعده دب دب
ثم لا الكا ولا انعطاف
ثم انْ يشرب وداد كل احد
ويغطي لمن سكر ورقد
وه جالس ينظرك مثل الأسد
ويلاطفك غاية الالطــــاف

كذلك نلاحظ كلمات في هذا الزجل غير واضحة سنذكر ما يقابلها من الكلمات المألوفة وترلو ـ وترهْ ـ فالقطيع ـ الزجاجة ـ عب عب اشرب اشرب ـ وه هابط لمعده دب دب ـ وهو ـ اي الشراب ـ نازل لمعدته يدب دبيبا ـ

لقد اوردنا هذه النماذج القليلـة من شعر الزجـل للتعرف على طريقة نظم الزجل ولهجته وبالامكان ذكر غير ما ذكر من الزجل ولكن صعوبة فهم الكثير من كلماته لا تشجع على ذكر المزيد منه .

# التجـــديد

## فى النثر الاندلسي

ومما هو جدير بالملاحظة ان الأندلسيين لم يقتصر تجديدهم على ناحية معينة من نواحي العطاء الفكري في مختلف مجالاته فقد جمعوا بين موضوعات وفنون متعددة ، وكما ان الشعر كان احد تلك الموضوعات والفنون ولظم فيه الكثيرون من ادباء ومؤرخين وفقهاء وغيرهم مثل الاديب ابن عبد ربه والمؤرخ لسان الدين بن الخطيب والفقيه ابن حزم وحتى من الحكام والامراء كالداخل والحكم الاول والامير عبدالله بن عبد الرحمن بن الحكم الاول وعبد الرحمن الثاني وعبد الرحمن الناصر والمعتمد بن عباد فقد اهتم الاندلسيون بالنثر وتفننوا وجددوا به وهذه المجلدات الكثيرة التي كتبها رجال دولة العلم والادب في الاندلس تمثل تراثا حضارياً يعتز به يلاحظ عليه طابع التجديد في الموضوعات والاساليب التي اعتمد بعضها على السجع وهو فن من اظهر فنون النثر كما يلاحظ ذلك مثلا في كتاب الذخيرة لابن بسام وغيره وفي نثر ابن زيدون مما سيمر ذكر شيء منه ؟

صحيح ان فن السجع قد ازدهر في المشرق متمثلا في مقامات بديع الزمان الهمداني ابي الفضل احمد بن الحسين ٣٥٩ - ٣٩٩ هـ ومقامات الحريري ابي علي محمد القاسم ٤٤٦ - ٥١٥ هـ وبعدهما في اسلوب القاضي الفاضل ابي عبد الرحيم البيساني وغيره من الكتاب الذين عنوا بالسجع

وصـــاروا على طريقته ولكن الاندلسيين لم يتأخروا عن المشارقة ان لم يكونوا اسبق منهم لريادة هذا الفن اذا ماقورنت تواريخ ظهور السجاعين الاندلسيين بتواريخ ظهور السجاعين المشارقة ، ولم يقتصر التجديد في النثر الاندلسي على اعتماد السجع والاهتمام به بل يلاحظ هذا التجديد حتى في اسماء الكتب الاندلسية وفصولها من ذلك مثلا كتاب العقد الفريد لابن عبدربه احمد بن محمد ٢٤٦ ـ ٣٢٨ هـ الذي قلد المشارقة بالكثير من موضوعاته ولكنه جدد في اسلوبه وديباجته ووضع لكل فصل من فصوله اسماً لطيفاً غريباً فالكتاب هو العقد الفريد واجزاء هذا العقد التي يتكون منهـــا هي ـ اللؤلؤة والفريدة والزبرجدة والجمانة والمرجانة والجوهرة والزمردة والياقوتة والواسطة ثم المسجدة الى غير ذلك من ترف التجديد والتأنق بالنثر واساليبه ، وهكذا يتضح ان الاندلسيين قد جددوا في الشعر والنثر ، ولعل من اسباب هذا التفتح والعطاء والتجديد ، جمال الطبيعة الاندلسية المثير الموحي والرفاهية التي شملت المجتمع الاندلسي ويسر حال ذوي المواهب والقابليات بما كانوا يقابلونه به من حكام الاندلس من اكرام وتكريم لدرجة جعلتهم يتفرغون للانتاج الفكري واغنتهم متاعب الاهتمام والتفكير بتدبير الامور المعاشية وما تسببه هذه المتاعب من استنزاف الطاقة الفكرية ، وبما ان النثر الاندلسي كثير وموضوعاته كثيرة ومتنوعة فقد اخترنا شيئاً من الرسالتين الهزلية والجدية لابن زيدون وفصلا مما كتبه ابن حزم ممايـنسجم والطابع الادبي لهذه الصفحات للتعرف على اساليب النثر الاندلسي وملاحظة ما فيها من تجديد ، هذا قسم من الرسالة الهزلية وهي من نثر ابن زيدون ـ الذي لقي شهرته عن طريقه ـ

وقد كتبها على لسان حبيبته ولادة بنت المستكفي الى ابن عبدوس مزاحمه على قلب ولادة وكلها سخرية به وضحك عليه : تقول الرسالة - وهي من النثر المسجوع - .

اما بعد ايها المصاب بعقله ، المورط بجهله . البين سقطه ، الفاحش غلطه ، العاثر في ذيل اغتراره . الاعمى عن شمس نهاره . الساقط سقوط الذباب على الشراب . المتهافت تهافت الفراش في الشهاب . فان العجب اكذب . ومعرفة المرء نفسه اصوب . وانك راسلتني مستهديا . من صلتي : ما صفرت منه أيدي امثالك . متصديا من خلتي لما قرعت دونه انوف أشكالك . - ولمضي الرسالة مخاطبة ابن عبدوس بنفس اللهجة الساخرة لتقول - أنك انفردت بالجمال واستأثرت بالكمال واستعليت في مراتب الجلال . واستوليت على محاسن الخلال : حتى خيلت ان يوسف عليه السلام حاسنك ، فغضضت منه ، وان امرأة العزيز رأتك فسلت عنه . وان قارون أصاب بعض ما كنزت ، والنطف عثر على فضل ما ركزت ، وكسرى حمل غاشيتك وقيصر رعى ماشيتك ، والاسكندر قتل دارا في طاعتك ، وأردشير جاهد ملوك الطوائف بخروجهم عن جماعتك . والضحاك استدعى مسالمتك ، وجذيمة الابرش تمنى منادمتك . وشيرين قد نافست بوران فيك ، وبلقيس غايرت الزباء عليك . وأن مالك بن نويرة إنما اردف لك . وعروة بن جعفر الرحال الباك وكليب بن ربيعة انما حمى المرعى بعزلك . وجساسا إنما قتله بأنفتك . ومهلهلا إنما طلب ثأره بهمتك . والسموءل انما وفى عن عهدك

والأحنف انما احتبى في بردتك . وحاتماً انما جــاد بوفرك ، والتي الأضياف بيشرك ، وزيد بن مهلهل انما ركب بمخلبك . والسليك بن السلكة إنما عدا على رجليك . وعامر بن مالك انما لاعب الاسنة بيديك . وقيس بن زهير انما استعان بدهائك . وإياس بن معاوية انما استضاء بمصباح ذكائك . وسحبان انما تكلم بلسانك . وعمرو بن الاهتم انما سحر ببيانك . وان الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك . والحمالات بين عبس وذبيان أسندت الى كفالتك . وإن احتيال هــرم لعلقمة وعامر حتى رضيا . كان ذاك عن إشارتك . وجوابه لعمر وقد سأله عن ايهما كان ينفر : وقع عن ارادتك . وان الحجاج تقلد ولاية العراق بجدك . وقتيبة فتح ما وراء النهر بسعدك . والمهلب اوهن شوكة الأزارقة بيدك وفرق ذات بينهم بكيدك . وأن هرمس اعطى بلينوس ما اخذ منك . وافلاطون اورد على ارسطاطاليس مانقل عنك وبطليموس سوى الاصطرلاب بتدبيرك وصور الكرة على تقديرك . وبقراط علم العلل والامراض بلطف حسك . وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقــة حدسك . وكلاهما قلدك في العلاج . وسألك عن المزاج . واستوصفك تركيب الاعضاء . واستشارك في الــداء والـدواء . وانــك نهجت لأبي معــشر طريق القضاء . واظهرت جابر بن حيان على ســر الكيمياء . واعطيت النظام اصلا ادرك به الحقائق . وجعلت للكندي رسماً اســتخرج به الدقائق . وأن صناعة الألحان اختراعك . وتأليف الأوتار والأنقــار توليدك وابتداعك . وان عبد الحميد بن يحيى باري اقلامك . وسهل بن هــارون مدون كلامك . وعمرو بن بحــر مستمليك . ومالك بن انس

مسطتيك وأنك الملمي الامام البراهين . وبوضح للمؤلفين . وحد للعبا .
وبين الكيلية والكبة . وناظــر في الجوهر والعرض . وميز الصحة من
المرض . وفك المعمى . وفصل بين الاســم والمسمى . وصرف وقسم .
وعدل وارم وصنف الاسماء والافعال وبوب للظرف والحــال . وبنى
وأعرب . ونفى وتعجب ووصل وقطع وثنى وجمع . وأظهر واضمر.
واستفهم وأخبر . واهمل وقيد . وأرسل واسند وبحث ونظر . وتصفح
الاديان . ورجح بن مذهبي مانى وغيلان . واشار بذبح الجعد . وقتل
بشار بن برد . وأنك لو شئت خرقت للعادات . وخالفت المعهودات .
فأحلت للبحار عذبة . واعدت السلام رطبة . ولقلت غداً فصار أمساً .
وزدت في العناصر فكانت خمسا . وأنك المقول فيه كل قصيد في جوف
الفرا . و

ليس على الله بمــــستنكر
ان يجمع العالم في واحد

والمعنى بقول ابي تمام

فلو صورت نفسك لم تزدها
على ما فيك من كرم الطباع

والمراد بقول ابي الطيب

ذكر الانام لنا فكان قصيدة
كنت البديع الفرد من أبياتها

فكدمت في غير مكدم .واستسمنت ذات ورم ونفخت في غير ضرم

ولم تجد للرمح مهزا ولا للشفرة محزا بل رضيت من الغنيمة بالإياب وتمنيت الرجوع بخفي حنين :

. وتقول الرسالة في معرض التهديد - والنعل حاضرة إن عادت العقرب . والعقوبة ممكنة ان اصر المذنب .

× × ×

للرسالة الهزلية طويلة وفيها اكثر مما ذكر ولا مجال لنشره كله وهي تعطينا فكرة عن مهارة ابن زيدون بفن الكلام المسجوع كما يلاحظ في رسالته انه قد شرق وغرب ولعرض الذكر كثير من اسماء الاعلام في مختلف العلوم والفنون ولمختلف الحوادث والوقائع والشذرات المتعلقة بأصناف المعارف كل ذلك يدل على سعة اطلاعه وشمول احاطته وقوة براعته . وكثرة ثقافته . وبما ان ذكر شيء من الرسالة الهزلية ملازم للذكر شيء من الرسالة الجدية ومتمم له فسنذكر قسماً من هذه الرسالة ولا بد من الاشارة الى المناسبة التي دعت ابن زيدون لكتابتها .

لقد انتهى امر ابن زيدون فيما انتهى اليه الى السجن بأمر من الامير ابن جهور وقد اختلفت الروايات المتعلقة بأسباب سجنه وان بعض تلك الروايات يرجع تلك الاسباب الى ما كان يحيكه ابن عبدوس من مكائد ودسائس ضد ابن زيدون لأمور تتصل بولادة وبمشاكل حب ولادة . ان الرسالة الجدية كأختها الرسالة الهزلية طويلة لذا فإن ما سيمر منها ، ما هو الا جزء من كل . وقد ارسل ابن زيدون هذه الرسالة الى الامير ابن جهور من سجنه مستعطفاً . منها قوله :

يا مولاي وسيدي الذي ودادي له واعتدادي به واعتمادي عليه ابقاه الله ماضي حد العزم واري زند الامل ثابت عهد النعمة . ان سلبتني

اعزك الله لباس نعمائك وعطلتني من حلي ايناسك وواظمأتني الى برود اسعافك ونفضت بي كف حياطتك وغضضت عني طرف حمايتك بعد ان نظر الاعمى الى تأميلي لك وسمع الاصم ثنائي عليك . واحس الجماد باستحمادي اليك فلا غرو قد يغص بالماء شاربه ويقتل الدواء المستشفى به . ويؤتى الحذر من مأمنه وتكون منية المتمني في امنيته والحين قد يسبق جهد الحريص .

كل المصائب قد تمر على الفتى

وتهـون غير شماتة الحساد

واني لأتجلد وارى الشامتين اني لريب الدهر لا اتضعضع فاقول : هل انا الا يد ادماها سوارها وجبين عض به إكليله ومشرفي الصقه بالارض صاقله وسمهري عرضه على النار مثقفه . وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول .

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً

فليقس احياناً على من يرحم

هذا العتب محمود عواقبه وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي وهذه النكبة سحابة صيف عن قليل تقشع ولن يريبني من سيدي ان ابطأ سيبه او تأخر ـ غير ضنين غناؤه فأبطأ الدلاء فيضاً أملؤها . وأثقل السحائب مشياً احفلها وانفع الحيا ما صادف جدبا والذ الشراب ما اصاب غليلا . ومع اليوم غد ولكل اجل كتاب . له الحمد على اغتباله . ولا عتب عليه في إغفاله .

هلا يكون الفعل الذي ساء واحداً

فأفعاله اللائي سررن ألوف

واعود فأقول : ليت شعري ما هذا الذنب الـــذي لم يسعه عفوك والجهل الـــذي لم يأت من ورائه حلمك والتطاول الـــذي لم يستغرقه تطولك . والتحامل الذي لم يف به احتمالك ؟ ولا اخلو من ان اكون بريئاً فأين العدل ؟ او مسيئاً فأين الفضل ؟

إلا يكن ذنب فعدلك واسـع

أو كان لي ذنب ففضلك أوسـع

حنانيك قد بلـغ الســيل الزبى ونالني مــا حسبي بــه وكفى

وتمضي الرسالة بهذا الاسلوب الرقيق الى ان يصل ابن زيـــدون الى التعريض بمن سعى به عند الامير ابن جهور واوصله الى سجنه فيقول :

وحسبك من حــادث بامــرىء

ترى حاسـديه له راحمينـا

فكيف ولا ذنب إلا نميمة اهداها كاشح ونبأ جاء به فاسق وهــم الهمازون المشاؤون بنميم. والواشون الذين لا يلبثون ان يصدعوا العصا والغواة الذين لا يتركون اديماً صحيحاً والسعاة الذين ذكرهم الاحنف بن قيس فقال : ما ظنك بقوم الصدق محمود إلا منهم .

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمــرء مذهب

والله ماغششتك بعدالنصيحة ولا انحرفت عنك بعدالصاغية. ولا نصبت لك بعد التشيع فيك . ولا أزمعت يأساً منك مع ضمان تكفلت به الثقة عنك

وفيم اخلف حسن الظن عليك للئيم خبث الجفاء بالمنى وحك الطول مواتاتي ولمكن للضياع من وســائلي ؟ ولم ضاقت مذاهبي واكدت مطالبي ؟ وعلام رضيت من المركب بالتعليق بل من الغنيمة بالاياب واني غلبني المغلب وفخر علي العــاجز الضعيف . ولطمتني غير ذات سوار . ومالك لم تمنع من قبل ان افترس وتدركني ولما امزق ام كيف لا تتضرم جوانح الاكفاء حسدا لي على الخصوص بك . وتتقطع انفاس النظراء منافسة في الكرامة عليك . فكيف وقد زانني قليــم خلعتك وزهاني وسم نعمتك . وابليت البلاء الجميل في سماطك وقمت المقام المحمود على بساطك .

الست الموالي فيك غر قصائد
هي الأنجم اقتادت مع الليل انجما
ثنــاء يظن الروض منــه منوراً
ضحى ويخال الوشى فيه منمنما

وهل لبس الصباح الا برداً طرزته بفضائلك وتقلــدت الجوزاء إلا عقداً فصلته بمآثرك . واستملى الربيع الا ثناء ملأته بمحاسنك ، وبث المسك الا حديثاً أذعته في محامدك . ما يوم حليمة بسر . وان كنت لم اكسك سليبا ولا حليتك عطلا . ولا وسمتك غفــلا . بل وجدت آجراً وجصاً فبنيت . ومكان القول ذا سعة فقلت . حاشى لك ان أعــد من العاملة الناصبة . واكون كالذبالة المنصوبة تضيء للنــاس وتحترق فلك المثل الاعلى : وهو ـ بك ـ وبي فيك أولى .

وبعد ان يستطرد الاسير ابن زيدون بمدح آسره واستمالته اليه يعمد الى استثارة عاطفته فيقول له .

اخيلك والتمني من الا الغيم خلبا . والمنتظر جهاما . واكلم في هبر مكدم واشكوى شكوى الجريح الى العقبان والرخـــم . وانما ابسست لك الالتذر . وما حركت لك الحوار الا لتحن وما نبهتك الا لأنام . وما سريت اليك الا لأحمد السرى لديك . بعد اليقين وانك ان سنيت عقد امري تيسر . ومتى اعذرت في فك اسري لم يتعذر وعلمك محيط بأن المعروف ثمرة النعمة وللشفاعة زكاة المروءة وفضل الجاه تعود به صدقة .

وفي مثل هذا الاداء المشرق تطول رسالة ابن زيدون ليقصـــر عن إيفاء ما تستحقه من اراد الاطراء وهم بالثناء .

---

# علامات الحب

لقد مر ذكر الفقيه ابن حزم كأحد الاعلام الاندلسيين اللذين جمعوا بين مواضيع وفنون متعددة ، ولعل ابن حزم في طليعة هؤلاء الاعلام فهو قد تضلع في الفقه تضلعه في الفلسفة وبرع في الشعر براعته في النثر مع قدرة متناهية على دقة الملاحظة وحسن الالتفاتة وسبر الاغوار النفسية وادراك هواجسها الخفية ومما كتبه فصل نختار شيئاً منه كنموذج آخر من نماذج النثر الاندلسي عنوانه (باب علامات الحب ) من كتابه المعروف بـ طوق الحمامة في الالفة والالاف ـ لقد ذكر ابن حزم كثير من الكتاب من ذلك ما ذكره عنه ابن الفرضي في كتابه ـ تاريخ علماء الاندلس ـ حيث قال عنه ( محمد بن حزم المعلم من اهل قرطبة سمع من ابان بن عيسى بن دينار ويحى بن ابراهيم بن مزين وقاسم بن محمد وبقي بن مخلد وغيرهم وكان مجتهداً في طلب العلم فاضلا ذكره خلد )(٥٤) ووصفه الكاتب الاسباني باريخا ( Parija ) بأنه عالم نفساني (٥٥) .

لقد مرت في حياته فترة حرجة شملت الفكر والمفكرين ـ سبق الحديث

---

(٥٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ص ٣٧٥ ، ط بلاغرنلدة ، مجريط ١٨٩٠ .

(٥٥) Filix M. Pareja Islamologia ( II ) P. 887-888 - Madrid - 1954

هنها ومن احبابها ـ احرق خلالها بعض مؤلفاته فنظم ابياتاً من الشعر بهذه المناسبة .

دعوني من إحــراق رق وكاغد
وقولوا بعلمي كي يري للناس من يدري
فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذى
تضمنه القرطاس بل هو في صدري

× × ×

ومن تلك الابيات قوله مفتخراً بمكانته ومتشوقاً للعراق :

انا الشمس في جو العلوم منيرة
ولكن عيبي ان مطلعي الغــرب
ولو انني من جانب الـشرق طالـع
لجدد لي ما ضاع من ذكرى النهب
ولي نحو آفاق العــراق صـبابة
ولا غــروان يستوحش الكلف الصب
ولكن لي في يوسف خــير اسـوة
وليس على من بالنبي ائتسى ذنب
يقول مقـال الحق والصدق إنني
حفيظ عليم ، ما على صادق عتب

× × ×

وفي نفس الحادثة هذه يقول ايضاً

لا يشمتن حاسدي ان نكبة عرضت
فالـدهر ليس على حـال بمتـرك

لو الفضل كالتبر يلقى تحت متربة
طوراً وطوراً يرى تاجاً على ملك

× × ×

وبعد ان عاد بنا الحديث عن حرق مؤلفات ابن حزم الى الشعر نعود الى موضوعنا - النثر والى باب علامات الحب - يقول ابن حزم في هذا الباب الطريف .

وللحب علامات يقفوها الفطن ، ويهتدي اليها الذكي - فأولها إدمان النظر . والعين باب النفس الشارع ، وهي المنقبة عن سرائرها ، والمعبرة لضمائرها ، والمعربة عن بواطنها . فترى الناظر لا يطرف ، يتنقل بتنقل المحبوب وينزوي بانزوائه . ويميل حيث مال كالحرباء مع الشمس . ومنها الاقبال بالحديث فما يكاد يقبل على سوى محبوبه ولو تعمد غير ذلك وان التكلف ليستبين لمن يرمقه فيه ، والانصات لحديثه اذا حدث، واستغراب كل ما يأتي به وكأنه عين المحال وخرق العادات ، وتصديقه وإن كذب ، وموافقته وإن ظلم ، والشهادة له وإن جار ، والباعه كيف سلك ، واي وجه من وجوه القول تناول ، ومنها الاسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه ، والتعمد للقعود بقربه والدنو منه ، واطراح الاشغال الموجبة للزوال عنه ، والاستهانة بكل خطب جليل داع الى مفارقته ، والتباطؤ في المشي عند القيام عنه .

ومنها بهت يقع وروعة تبدو على المحب عند رؤية من يحب فجأة وطلوعه بغتة . ومنها اضطراب يبدو على المحب عند رؤية من يشبه محبوبه او عند سماع اسمه فجأة ، ومنها ان يجود المرء ببذل كل ما كان يقدر عليه مما كان ممتنعاً به قبل ذلك كأنه هو الموهوب له والمسعى في حظه ، كل ذلك ليبدي محاسنه ويرغب في نفسه . فكم بخيل جاد ،

والطويل تطلق وجبان تشجع وغليظ الطبع تطرب ، وجاهل تأدب ، وتفل تزين ، وفقير تجمل ، وذي سن تفتى ، وناسك تفتك ومصون تبذل .
وهذه العلامات تكون قبل استعار نار الحب وتأجج حريقه وتوقد شعله واستطارة لهبه : فأما اذا تمكن وأخذ مأخذه فحينئذ ترى الحديث سرارا ، والاعراض عن كل ما حضر الا عن المحبوب جهاراً.

ومن علاماته وشواهده الظاهرة لكل ذي بصر الانبساط الكثير الزائد ، والتضايق في المكان الواسع ، والمجاذبة على الشيء يأخذه احدهما ، وكثرة الغمز الخفي ، والميل بالاتكاء ، والتعمد لمس اليد عند المحادثة ، ولمس ما أمكن من الاعضاء الظاهرة ، وشرب فضلة ما ابقى المحبوب في الاناء ، وتحري المكان الذي يقابله فيه ومن علاماته حب الوحدة والانس بالانفراد ، والسهر من اعراض المحبين ) (٥٦) الخ . . . .

(٥٦) ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص ١١ـ١٥ ط الاستقامة القاهرة ١٩٦٤ م

# شـاعران مجددان

# ابن هاني

## (١)

ابو القاسم محمد بن هاني الأندلسي في طليعة شعراء الأندلس المجددين ولد باشبيلية عام ٣٢٦هـ وكان ذلك في عهد حكم الملك الناصر وعندما ترعرع وشب أقبل على دراسة علوم اللغة وآدابها على أيدي أساتذة أجلاء وكان من حسن حظه ويمن طالعه ان كان له أب أديب وشاعر يدرك ما للادب والشعر من قيمة ومكانة فكان يشجعه على الارتواء من مناهل المعرفة والتزود من ينابيع الشعر والانتفاع بمصادره وموارده والاكثار من نظمه فصار شاعراً كبيراً ذا خيال مجنح جوابٍ وقريحة وقادة وتمكن لذواق باختيار أدق المعاني ومقدرة باهرة على تصويرها وعرضها ، أحكم ابن هاني صلته بصاحب اشبيلية فاستماله اليه بشعره وأدبه وكانت أشبيلية في ذلك الوقت قد بلغت مستوى حضارياً عالياً تزدهر بكل مايبهج النفس ويلذ الناظر فانغمس شاعرنا في اللهو والترف والنعيم شأن أكثر الشعراء الأندلسيين ودفعه ذلك الانغماس الى التحلل من قيود الالتزام بما كان يلتزم به المترمتون وأخذ يميل الى التنظر وإبداء الرأي فيما كان الفقهاء لا يحبذون النظر وإبداء الرأي فيه وكثر حوله القيل والقال فأشار عليه صاحب اشبيلية بمغادرة البلاد حتى يهدأ غليان الناس عليه ولا تمتد اليه الأيدي بالاذى فسافر ابن هاني الى عدوة المغرب وكان في أواسط العقد الثالث من عمره ، فهيأ له حسن الصدف اللقاء مع القائد جوهر الذي فتح مصر وأخضعها للمعز لدين الله الفاطمي

ابن هاني الشعر يمدح جوهر فقربه اليه وأكرمه وكان الصـــاله بالقائد جوهر واسطة أوصلته الى المعز نفسه فمدحه بقصائد كثيرة ، وبعد ان تم فتح مصر واستتب فيها الامن توجه المعز اليها وتخلف عنه شاعره ابن هاني على ان يلحق به وعندما سافر قاصداً مصر لحاق بالمعز مر خلال سفره هذا على برقة فاستضافه أحد سكانها وأقام عنده ممتعاً بالشراب حتى مات ولم يتجاوز السادسة والثلاثين من العمر :

كان ابن هاني يدعى بمتنبي المغـــرب مقارنة له بأبي الطيب متنبي المشرق ، ان شعره متعدد الاغراض مع ميله الملحوظ الى المبالغة بل والى الافراط فيها ببعض موضوعات قصائده ، مما يدل على مكانة ابن هاني ماروواه الكثيرون عنه منهم ابن رشيق في عمدته حيث قال عنه : ( ولما وصل ابو القاسم ابن هانيء الى المريقية هجاه الشعراء : قال لا أجيب منهم أحداً إلا ان يهجوني علي التونسي فاني أجيبه فلما بلغ قوله علياً قال : أما اني لو كنت الأم الناس ماهجوته بعد ان شرفني على أصحابي وجعلني من بينهم كفئاً له (٥٧).

لابن هاني أبيات كثيرة سارت مسير الامثال المضـــروبة ولمثل هذه الابيات التي تصلح لأن تكون أمثالا سائرة مؤهل لابد من توفره فيها هو تكامل وحدة الفكرة واستقلالها في البيت نفسه بحيث لو استقطع هذا البيت من قصيدة فان هذا الاســـتقطاع لا يؤثر على وحدة معناه واستقلالها فلا يبقى شيء منها فى الابيات التي سبقته ولا فى الابيات التي لحقت به ، من ذلك مثلا هذا البيت لابن هاني من قصيدة طويلة :

---

(٥٧) ابن رشيق ــ العمدة ، ج ١ ، ص ٩٢ ، ط ، حجازي ، القاهرة ١٩٣٤م

وكل اناة فى المواطن سؤدد

ولا كاناة من قدير محكم

وقول ابن هاني ايضاً فى بيت آخر :

فليس لمن لا يرتقي النجم همة

وليس لمن لا يستفيد الغنى عذر

× × ×

من قصيدة نظمها ابن هاني يمدح القائد جوهر وهو فى طريقه من القيروان الى مصر وصف فيها جيش جوهر وذكر خروجه لتوديع القائد وجيشه ،

أمين الله بعد أمينه (٥٨)

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع

وقد راعني يوم من الحشر أروع

غداة كأن الأفق سد بمثله

فعاد غروب الشمس من حيث تطلع

فلم أدر اذ سلمت كيف أشيع

ولم أدر إذ شيعت كيف أودع

وكيف أخوض الجيش والجيش لجة

وإني بمن قد قاده الدهر مولع

---

(٥٨) ابن هاني : الديوان : ص ١٩٢ ـ ١٩٣ و١٩٩ ، ط: دار صادر: بيروت ١٩٦٤م

رأيه ومالي بين ذا الجمع مسلك
ولا لجوادي في البسيطة موضع

الا ان هذا حشد من لم يذق له
غرار الكرى جفن ولا بات يهجع

نصيحته للملك سدت مذاهبي
وما بين قيد الرمح والرمح اصبع

فقد ضرعت منه الرواسي لما رأت
فكيف قلوب الانس والانس اضرع

فلا عسكر من قبل عسكر جوهر
تخب المطايا فيه عشرا وتوضع

لسير الجبال الجامدات بسيره
وتسجد من أدنى الحفيف وتركع

إذا حل في أرض بناها مدائنا
وإن سار عن أرض ثوت وهي بلقع

سموت له بعد الرحيل وفاتني
فأسمع انه لا لأمم الجنب موضع

فلما تداركت السرادق في الدجى
عشوت اليه والمشاعل ترفع

فتخرق جيب المزن والمزن دالح
وتوقد موج اليم و اليم أسفع

لبث وبات الجيش جما سميره
يؤرقني والحزن في اليد مجمع

ولهم رعد آخر الليل قاصف
ولاحت مع الفجر البوارق تلمع
وأوحت الينا الوحش ما الله صانع
بنا وبكم من هول ما نتسمع
ولم نعلم الطير الحوائم فوقنا
الى أين تستذري ولا أين تفزع

الى ان يقول للقائد جوهر :

سيعلم من ناواك كيف مصيره
ويبصر من قارعته كيف يقرع
إذا صلت لم يكرم على السيف صيد
وإن قلت لم يقدم على النطق مصقع
لقيك الليالي و الزمان و أهله
ومصفيك محض الود و المتصنع
وكل امريء في الناس يسعى لنفسه
وأنت امرؤ بالسعي للملك مولع
تعبت لكيما يعقب الملك راحة
فمهلا فذاك المستريح المودع
فأشفق على قلب الخلافة انه
حنانا و إشفاقا عليك مروع

× ■ ×

## أحلقه لهوات أم ميادين (٥٩)

من طريف شعر ابن هاني مايصف به رحلا أكولا ، وفي هذا الوصف ومعانيه تجديد وتنوع في الموضوعات التي برع الشاعر في التعبير عنها ، يقول ابن هاني :

انظر اليه وفي التحريك تسكين
كأنما التقمت عنه التنانين

يا ليت شعري إذا أوى الى فمه
احلقه لهوات أم ميادين

كأنها و خبيث الزاد يضرمها
جهنم قذفت فيها الشياطين

تبارك الله ما امضى أسنته
كأنما كل فك منه طاحون

كأن بيت سلاح فيه مختزن
مما أعدته للرسل الفراعين

اين الأسنة أم اين الصوارم أم
أين الخناجر أم اين السكاكين ؟

---

(٥٩) المصدر السابق ، ص ٣٧٦ — ٣٧٧

كأنما الحمل المشوي في يده

ذو النون في الماء لما عضه النون

لف الجداء بأيديها وأرجلها

كأنما افترستهن السراحين

فغادر البط من مثنى وواحدة

كأنما اختطفتهن الشواهين

يغض الوز من قرن الى قدم

وللبلاعم لطريب و تلحين

كأن فى فكه أيتام أرملة

او باكيات عليهن التبابين

كأنما ينتقي العظم الصليب له

من تحت كل رحى فهر وهاوون

كأنما كل ركن من طبائعه

نار وفي كل عضو منه كانون

كأنما فى الحشا من خمل معدته

قرنفل و جواريش و كمون

قوموا بنا فلقد ربعت خواطرنا

و جاذبتنا الأعنات البراذين

نصحتكم فخذوا من شدقه وزراً

أو لا فأنتم سويق فيه مطحون

فليس تروبه أمواه الفرات ولا

يقوله فلك لوح وهو مشحون

× × ×

هذا المعز ابن النبي (٦٠)

ونختتم الحديث عن ابن هاني بذكر مقدمة لقصيدة مشهورة له قالها في المعز لدين الله وقد تعرض فيها لعرض اليه في هذه المقدمة الى وصف حالته النفسية بعد ان تقدمت به السن ثم يعرج الى وصف جواده اثناء صولاته وجولاته في ميادينه المختلفة فيقول :

قد سار بي هذا الزمان فأوجفا
وعدا مشيبي من شبابي أحرفا

إلا اكن بلغت بي السن المدى
فلقد بلغت من الطريق المنصفا

فأما وقد لاح الصباح بلمتي
وانجاب ليل عمايتي و تكشفا

فلئن لهوت لألهون تصنعاً
ولئن صبوت لأصبون تكلفا

ولئن ذكرت الغاليات فخطرة
تعتاد صباً بالحسان مكلفا

فلقد هززت غصونها بثمارها
وهصرتهن مهفهفاً فمهفهفا

---

(٦٠) المصدر السابق ص ٢٠٢ — ٢٠٥

والباه في الكتباه طوع يدي إذا

أومأت ايماء اليه تعطفا

ولقد هززت الكأس في يد مثلها

وصحوت عما رق منها أو صفا

فرددتها من راحتيه مزة

وشربتها من مقاتيه قرقفا

ما كان أفتكني لو اخترطت يدي

من ناظريك على رقيبك مرهفا

وخدور مثلك قد طرقت لقومها

متعرضاً ولأرضها متعسفا

ويصف جواده فيقول:

بأقب لا يدع الصهيل الى القنا

حتى يلوك خطامها المتقصفا

يسري فأحسب في عناني قائفاً

متفرساً او زاجراً متعسفا

يرى الأنيس بمسمعي وحشية

قد أوجسا من نبأة فتشوفا

فتقدما و تنصبا و تلاقيا

و تلطفا و تشرفا و تحرفا

وتكنفاني ينفضان لي الدجى

فإذا أمنت ترصدا فتخوفا

ملكنا وبع الصرنج لهما
بمصـــار الطاكية فاسترجها

للدر أضــاع حريمه أربابه
حتى أضيع عزيزه واستضعفا

يصل الرلين الى الرلين لحادث
يربد منه البدر حتى يكسفا

مالي رأيت الدرج قل نصيره
بالمشرقين وذل حتى خوفا

هم صيروا خدماً تسوس أمورهم
يا للزمان السوء كيف تصرفا

من كل مسود الضمير قد انطوى
للمسلمين على القلى و تلففا

عبدان عبدان و تبع تبع
فالفاضل المفضول والوجه القفا

أسفي على الأحرار قل حفاظهم
ان كان يغني الحر ان يتأسفا

ثم يصل الى مدح المعز فيقول من ابياته ( لا مجال لنشرها لكثرتها ) :

هذا المعز ابن النبي المصطفى
سيذب عن حرم النبي المصطفى

فى صدر هذا العام لا يلوي على
أحد يلفت خلفه وتوقفا

وأنا الضمين له بملك قيادهم
طوعاً لهذا الملك الحنيف تحيرفا

# ابن خفاجة

## (٢)

هو ابو اسحق ابراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة ولد في شقر احدى المدن التابعة للعاصمة الاندلسية بلنسية سنة ٤٥٠ هـ ١٠٥٨م وتوفي فيها سنة (٥٣٣ هـ ١١٣٧م) أحد كبار شعراء الاندلس المعدودين المجددين، طرق اكثر الاغراض الشعرية وصور كثيراً من اللوحات الطبيعية بريشة الرسام الملهم المتمكن وغرض وصف الطبيعة ابرز تلك الاغراض تميز به شعره المجدد، فهو بحق شاعر الطبيعة الاندلسية ومصورها البارع، لم يقصر ابو اسحاق من الركض وراء متعه ونزواته ولم يتخلف في هذا الميدان عن غيره من الشعراء الاندلسيين الذين أطلقوا العنان لأنفسهم فاستحلبوا اوقاتهم أيما استحلاب، لكنه اختلف عن الكثير منهم وذلك في أواخر ايامه عندما تقدمت به السن إذ ركن الى الهدى والصلاح والصرف عن شرب المدام القراح وأعرض عن مغازلة الغواني الملاح لذا فإن شعره يمثل طورين متميزين من حياته، الاول المشوب بالحسرة والألم ولا سيما عند خطرات ذكرياته الذاهبة المذهبة كما سيلاحظ ذلك فيما سيمر له من شعر، لقد ذكره الكثيرون من المعنيين بالدراسات الاندلسية أجلهم الامام ابو نصر الفتح بن خاقان في كتابه (قلائد العقيان) حيث قال «الفقيه الاديب ابو اسحاق بن خفاجة مالك أعنة المحاسن وناهج طريقها، العارف بترصيعها وتنميقها: الناظم لعقودها؛ الراقم لبرودها، المجيد لارهافها: العالم بجلائها وزفافها: تصرف في

فنون الأبداع كيف شاء ، وأبلغ دلوه من الاجادة الرشاء وللمشح القول ورونقه ومد في ميدان الاعجاز طلقه ، فجاء نظامه أرق من النسيم العليل وآنق من الروض البليل : يكاد يمتزج بالروح ، وترتاح اليه النفس كالغصن المروح . ان اشبب فغمزات العيون الوطف او اشارات البنان التي تكاد تعقد من اللطف . وان وصف سراه والليل بهيم ما فيه وضوح ؛ وخد الثريا بالندى منضوح ؛ فناهيك من عرض انفرد بمضماره، وتجرد لحمى ذماره. وان مدح فلا الاعشى للمحلق، ولا حسان لاهل جلق ، وان تصرف في فنون الاوصاف : فهو كفارس خصاف ؛ وكان في شبيبته مخلوع الرسن في ميدان مجوله كثير الوسن بين صفاء الانتهاك وحجوله: لا يبالي بمن التبس : ولا أي نار اقتبس . إلا انه قد نسك اليوم نسك ابن أذينه ; وغض عن ارسال نظره في اعقاب الهوى عينه ، وقد أثبت له مايقف عليه الاهواء : وتصرف اليه الاهواء ( اخبرني ) انه لما أقلع عن صبوله وطلع ثنية سـلوته ، والكهولة قد حنكته . وأسلكته من طرق الارعواء حيث اسلكته . ثم فرأى انه مستيقظ وجعل يفكر فيما مضى من شـبابه ، وفيمن ذهب من احبابه ويبكي على ايام لهوه . وأوان غفلته وسهوه ، ويتوجع لسالف ذلك الزمان ويتبع الذكر دمعاً كواهي الجمان ثم استيقظ وهو يقول:

الا ساجل دموعي يا غمام
وطارحني بشجوك يا حمام
فقد وفيتها ستين حولا
ونادتني ورائي هل امام
وكنت ومن لباناتي لبيني
هناك ومن مراضعي المدام

يطالعنا الصباح ببطن حزوى
فينكرنا و يعرفنا الظـلام
وكان لي للبشـام مراح ألسى
لماذا بعدنا فعل البشـــام
فيا شرخ الشباب ألا لقاء
يبل به على برح أوام
ويا ظل الشباب وكنت تندى
على أفياء سرحتك السلام (٦١)

× × ×

ومن روائع حسراته ولواذع تأوهاته على الشباب وايام الشباب:

أما وشـــباب قد نرامت به النوى
فأرسـلت في أعقابه نظرة عبرى
لقد ركبت ظهر السـرى بي لومة
فأصبحت في ارض وقد بت في اخرى
أقلب جفناً لا يجف فكلما
تأوهت من شكوى تألمت من صكرى
فها انا لا النفس يجف بها المنى
فتلهو ولا سمع تطير به بشـــرى

---

(٦١) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٢٤١ ـــ ٢٤٢ ط ، التقدم العلمية مصر ١٣٢٠هـ .

وأني لذا ما شـــاقني لحمامة
رنين و هزتني لبارقة ذكرى

لاجمع بين الماء و النار لوعة
فمن مقلة ريا ومن كبد حرى

ولدخت خطب الشيب في جانب الردى
فصارت به صغرى التي كانت الكبرى

ان ابن خفاجة — كما سبق الحديث عنه — تناول اكثر الاغراض الشـــعرية فجود وجدد بكل ما تناوله متمثلا بالمعنى الرقيق والأداء الرشيق . ففي شـــعره قصيدة نظمها بمدح الامير ابي يحي بن ابراهيم ويذكر فيها خروجه للصيد ويتعرض لوصف الكثير من الطير والوحشي وهذه من المعاني التي جدد بها الشعراء الاندلسيون ، ان القصيدة طويلة لا مجال لإثباتها كلها ما دام الغرض هو التعرف على اغراض الشاعر وأسلوبه : وهذا قسم من القصيدة وهي بعنوان :

سمح الخيال (٦٢)

سمح الخيال على النوى بمزار
والصبـــح يسمح عن جبين نهار

فرفعت من ناري لضيف طارق
يعشو اليها من خيـــال طاري

ركب الدجى احسن به من مركب
وطوى السرى أحبب به من ساري

وأناخ حيث دموع عيني منهل
يروي وحيث حشاي موقد نار

(٦٢) ابن خفاجة الديوان ، ص ٢٠٥ — ٢٠٨ ط ، المناهل ، بيروت ١٩٥١

وسني فأروي غلة من ناهل
أورى بجانبه زناد أوار

خلع الهوى ثوباً عليه من الضنى
قد شف عنه لهو كاسي عاري

يلوي الضلوع على الولوع لخطرة
من شيم برق او شميم عرار

والليل قد نضح الندى سرباله
فانهل دمع الطل فوق صدار

لبس المجر على السواد فخلته
مترهباً قد شد من زنار

ووراء أستار الدجى متململ
يلقي بيمنى تارة ويسار

ما طالعته برقة نجدية
إلا اجتلتها نظرة استعبار

مترقب رسل الرياح عشية
بمساقط الأنواء و الأنوار

وبجر ذيل غمامة لبست به
وشي الحباب معاطف الأنهار

خلعت ظلال الأيك فيه ذوائباً
وارتج ردفاً مائج التيار

الى ان يقول :

باكرته والغيم قطعة عنبر
مشبوبة و البرق لفحة نار

والريح للطير لهو أرداك الربى
لعباً و للثم أوجه الأزهـــار

ومنابر الأشجار قد قامت بها
خطباء ملصحة من الأطيار

في فتية جنبوا العجاجة ليلة
ولربما صـــدروا عن الأقـــار

ثار القتام بهم دخاناً و ارتمى
زند الحفيظة منهم بشرار

شاهدت من عبالهم و عبالهم
أشراف أطواد و فيض بحـــار

من كل متنقب بوردة خجلة
كرماً و مشتمل بثوب وقار

في غرة خلعت عليه كلمة
و ذؤابة قرنت بها كعـذار

ضافي رداء المجد طماح العلا
طاى عباب الجود رحب الدار

جرار أذيال المعالي و القنا
حامى الحقيقة والحمى و الجار

طرد القنيص بكل قيد طريدة
زجل الجناح مورد الأظفار

ملئلة أعطـــافه بحبيرة
مكحولة أجفاله بنضـار

يرى به الأمل القصي ليثني
مخضوب راه الظفر و المنقار

وبعد أن يسترسل ابن خفاجة بوصف للقطات من مشاهد الصيد يصل الى مدح ابي يحيى :

ولرب طيار خفيف قد جرى
فشلا بجار خلفه طيار

من كل قاصرة الخطى مختالة
مشي الفتاة تجر فضل ازار

مخضوبة المنقار تحسب انما
كرعت على ظمأ بكاس عقار

لا تستقر بها الايادي خشية
من ليل ويل او نهار بوار

ولو استجارت منهما بحمى ابي
يحي لأمنها أعز جوار

حرم إذا اشتمل الطريد بظله
لم يخش من جور هنالك جاري

جذلان يملأ نفحة وبشاشة
أيدي العفاة وأعين الزوار

منقسم ما بين بدر دجنة
أسرى وبين غمامة مدرار

أرج الندي بذكره فكأنه
متنفس عن روضة معطار

في حسن منطقه وهشة وجهه
مستمتع الأسمـاع والابصار

جاري الرياح الى السماح فاجرت
معه الرياح النكب في مضمار

وزكا فشد على الطاف ازاره
ان الطـاف لشـيمة الاحـرار

مقيم وذاهب(٦٣)

في قصيدة - مقيم وذاهب - التي تعد من غرر قصائد ابن خفاجة - وصف لجبل مر به الشـاعر وحديث تخيل وقوعه بينه وبين الجبل وفي هذا الحديث المتخيل مافيه من عبرة وموعظة بأساوب تتمثل فيه الجدة والتجديد :

بعيشك هل تدري أهـوج الجنائب
تخب برحلي أم ظهـور النجـائب ؟

فما لحت في اولى المشارق كوكباً
فأشرقت حتى جئت اخرى المغارب

وحيـداً تهـاداني الفيـافي فأجتلي
وجـوه المنـايا في قنـاع الغياهـب

ولا جـار إلا في حـسام مصمم
ولا جار الا فى قعود الغياهب

(٦٣) المصدر السابق ص ١٧٤ ــ ١٧٥ .

ولا أنس إلا أن أضاحك ساعة
ثغور الأماني في وجوه المطالب

وليل إذا ما قلت قد باد وانقضى
تكشف عن وعد من الظن كاذب

سحبت الدياجي فيه سود ذوائب
لأعتنق الآمال بيض ترائب

فمزقت جيب الليل عن شخص أطلس
تطلع وضاح المضاحك قاطب

رأيت به قطعاً من الفجر اغبشاً
تأمل عن نجم توقد ثاقب

ثم يصل ابن خفاجة الى وصف الجبل والى الحديث المعبر :

وأرعن طماح الذؤابة باذخ
يطاول أعنان السماء بغارب

يسد مهب الريح من كل وجهة
ويزحم ليلا شهبه بالمناكب

وقور على ظهر الفلاة كأنه
طوال الليالي مفكر في العواقب

يلوث عليه الغيم سود عمائم
لها من وميض البرق حمر ذوائب

اصخت اليه وهو أخرس صامت
فحدثني ليل السرى بالعجائب

وقال : ألا كم كنت ملجأ قاتل
وموطن أواه تبتل تائب

وكم مر بي من مدلج ومؤوب
وقال بظلي من مطي وراكب

ولاطم مني نكب الرياح معاطفي
وزاحم من خضر البحار غواربي

فما كان الا ان طوتهم يد الردى
وطارت بهم ريح النوى والنوائب

فما خفق ايكي غير رجفة أضلع
ولا نوح ورقي غير صرخة نادب

وماغيض السلوان دمعي وانما
نزفت دموعي في فراق الصواحب

فحتى متى أبلى ويظعن صاحب
أودع منه راحــلا غير آيب ؟

وحتى متى أرعى الكواكب ساهراً
فمن طالع اخــرى الليالي وغارب

فرحماك يا مولاي دعوة ضارع
يمد الى نعماك راحــة راغب

فأسمعني من وعظـــه كل عبرة
يترجمها عنه لسان التجارب

فسلى بما أبكى وسرى بما شجا
وكان على عهد السرى خير صاحب

وقلت وقد نكبت عنه لطية
سلام فانا من مقيم وذاهب

# من اشـــعارهن

مما تميز به الشعر الاندلسي ظهور عدد غير قليل من النساء الاندلسيات نظمن الشعر واكثرهن من الجواري الحسان، وكانت قيمة الجارية تقاس بقدر مالها من الجمال وحسن الصوت والاهتمام بالشعر وقد اقتصرت اشعارهن على الغزل والنوازع الوجدانية الاخرى تقريباً مما أضفى على الشـــعر الاندلسي حلاوة وطلاوة التجديد، وهذه الظاهرة الادبية ترتبط بظواهر اجتماعية تميز بها المجتمع الاندلسي منها اختلاط الرجال بالنساء والحرية الفردية التي كان الاندلسيون يمارسونها ويعبرون بواسطتها عن مرحهم وحبهم للحياة وكانت الحاجة للشعر ادعى في مجالس الانس والطرب التي كان لها شأن وأي شأن في المجتمع الاندلسي ولا بد ان يكون الغناء قوام تلك المجالس والشعر مادة ذلك الغناء ، هذه العـــوامل وغيرها جعلت للشعر في الاندلس اهمية خاصة محببة دفعت اليه الرجال والنساء على حد سواء وقد آثرنا ان يكون مسك ختام هذه الجولة القصيرة في رياض ( الادب الاندلسي ) بعض المختارات ( من اشعارهن ) التي تعبر عن بعض المعاني والاغراض الاندلسية الجديدة الاصيلة لأنها نابعة من واقع اندلسي

عقد المنصور بن ابي عامر مجلس شراب ، فلما فعلت الكؤوس فعلها في الرؤوس غنت جاريته ـ انس القلوب (٦٤)

---

(٦٤) أ. ر. نيكل ، مختارات من الشعر الاندلسي ص ٣٨ ـ ٣٩ ، ط : الكشافة ، بيروت ١٩٤٩ .

قدم الليل عند سير النهار
وبدا البدر مثل نصف سوار

فكأن النهار صفحة خد
وكأن الظلام خط عذار

وكأن الكؤوس جامد ماء
وكأن المدام ذائب نار

نظري قد جنى علي ذنوباً
كيف مما جنته عيني اعتذاري؟

يا لقوم تعجبوا من غزال
جائر حي مهجتي وهو جاري

ليت لو كان لي اليه سبيل
فأقضي من حبه اوطاري

وكان في المجلس شاب اسمه ابو المغيرة عبدالوهاب بن حزم عرف انه المعنى بالابيات فارتجل من ساعته :

كيف كيف الوصول للأقمار
بين سمر القنا وبيض الشفار

لو علمنا بأن حبك حق
لطلبنا الحياة منك بثار

وإذا ما الكرام هموا بشيء
خاطروا بالنفوس فى الاخطار

فأستثار ذلك المنصور وهم بقتل الجارية فبكت واعتذرت بأن حبها

لم يكن رغبة منها ولكنه المقدور الذي لا تستطيع له رداً فقال ابو الطيب على لسان الجارية :

اذنبت ذنباً عظيما فكيف منه اعتذاري ؟

والله قدر هذا ولم يكن باختياري

والعفو أحسن شيء يكون عند اقتدار

وللشاعرة حفصة بنت حمدون هذان البيتان :

لي حبيب لا ينثني لعتاب
و إذا ما تركته زاد تيها

قال لي هل رأيت لي من شبيه ؟
قلت ايضاً: وهل ترى لي شبيها؟

وقالت مريم بنت ابي يعقوب بعد ان ادركتها الشيخوخة :

وما يرتجى من بنت سبعين حجة
وسبع كنسج العنكبوت المهلهل

تدب دبيب الطفل تسعى الى العصا
وتمشي بها مشي الأسير المكبل ؟

× × ×

أما الشاعرة حفصة الركونية فهي تبعث سلامها لحبيب نزح عنها فتقول :

سلام يفتح في زهره الكمام
وينطق ورق الغصون

على نازح لقد دوى لي الحفا

وان كان حرم منه المهـــوه

فلا تحسبوا البعد بلسـبكم

لملك و الله ما لا يكون

وتقول عن هذا الحبيب النازح :

ولو لم يكن نجما لما كان ناظري

وقد غبت عنه مظلما بعد نوره

ســلام على تلك المحاســن من شج

تناءت بنعماه وطيب سروره

ومن شعرها ايضاً :

سلوا البارق الخفاق والليل ساكن

اظل بأحبابي يذكرني وهنا

لعمري لقد أهدى لقلبي خفقة

وأمطرني منهل عارضه الجفنا

وتشتد غيرة حفصة على حبيبها ولكن من اي شيء تغار عليه ؟

أغار عليك من عيني رقيبي

ومنك ومن زمانك و المــكان

ولو اني خبأتك في عيوني

الى يوم القيـــامة ما كفاني

× × ×

ويعود الحبيب النازح فتكتب اليه حفصة مسرعة :

أزورك ام تزور ؟ فان قلبي
الى ما تشتهي ابداً يميل
فثغري مورد عذب زلال
وفرع ذؤابتي ظل ظليل
وقد املت ان تظما وتضحي
إذا وافى اليك بي المقيل
فعجل بالجواب فما جميل
اباؤك عن بثينة يا جميل

× × ×

اما الشاعرة ام الهناء بنت القاضي ابي محمد عبدالحق : فهي لم تكتب لحبيبها لزيارته ولكنه هو الذي كتب اليها فغلب عليها السرور حتى ابكاها :

جاء الكتاب من الحبيب بأنه
سيزورني فاستعبرت أجفاني
غلب السرور علي حتى انه
من فرط عظم مسرتي أبكاني
يا عين صار الدمع عندك عادة
تبكين في فرح و في احزان
فاستقبلي بالبشر يوم لقائه
ودعي الدموع لليلة الهجران

× × ×

غير ان الشاعرة هند جارية ابي محمد عبدالله بن مسلمه الشاطبي دعيت لزيارة سيدها فكيف كانت اجابتها على هذا الطلب ؟

ياسيداً حاز العلى عن سادة

(شم الانوف من الطراز الاول)

حسبي من الامراع نحوك انني

كنت الجواب مع الرسول المقبل

اما ولادة بنت المستكفي فقد كانت من ألمع نجوم الادب والشعر في سماء الاندلس يقول عنها الكاتب الاسباني بالنثيا .. ( *Palencia* ) انها اول امرأة اندلسية نزعت اللثام واختلطت بالرجال (٦٥) ،

لقد استوحت ولادة اكثر اشعارها من علاقتها العاطفية مع ابن زيدون ومن تأثرها بتلك العلاقة التي استوحى ابن زيدون ايضاً اكثر شعره الوجداني النابض منها ، من شعر ولادة وقد ارسلته الى ابن زيدون

ترقب اذا جن الظلام زيارتي

فاني رأيت الليل اكتم للسر

وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلح

وبالبدر لم يطلع و بالنجم لم يسر

ومما كتبته لابن زيدون معاتبة وقد احست بأنه يميل الى جارية لها سوداء :

لو كنت تنصفني الهوى ما بيننا

لم تهو جاريتي و لم تتخير

---

(٦٥) *Angel Gonzalez Palencia*
*Historia De La Literatura Arabigo Andaluza.*
*P. 69 - Barcelona. 1954*

وتركه غصناً مثمراً بجماله
وجنحك للغصن الذي لم يثمر

ولقد علمت بأني بدر السـما
لكن ولعت لشقوتي بالمشـتري

ويرى الكاتب الاسـباني ( بالنثيا ) فى كتابه الذي مر ذكره في الهامش و ان سبب ترك ولادة لابن زيدون واقبالها على ابن عبدوس هو حب ابن زيدون لجاريتها ، من المشهور عنها انها كتبت على الجانب الايمن من ثوبها هذا البيت من الشـعر وطرزت الحروف بالذهب الخالص :

انا و الله اصلح للمعالي
و أمشـي مشـيتي وأتيه تيها

وكتبت على الجانب الايسر :

وامكن عاشقي من صحن خدي
و أعطى قبلتي من يشتهيها

# المراجع

مراجع عربية :

ابن الاثير ( المتوفى عام ٦٣٠ هـ ابو الحسن علي بن محمد عبدالكريم ) الكامل في التاريخ .ط دار صادر. بيروت ١٩٦٦

الاصفهاني ( المتوفى عام ٥٩٧ هـ ابو عبدالله عماد الدين محمد بن صفي الدين ) خريدة القصر وجريدة الدهر - تحقيق عمر الدسوقي - ط. الرسالة مصر ١٩٦٤

بالنثيا ( آنخل جنثالث ) تأريخ الفكر الاندلسي - ترجمة الدكتور حسين مؤنس - ط. النهضة المصرية . القاهرة ١٩٦٥

ابن بسام ( المتوفى عام ٥٤١ هـ ابو الحسن علي ) الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة قدم له الدكتور طه حسين- ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٣٩

البستاني ( بطرس ) ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث .ط. مكتبة صادر بيروت ١٩٣٧

البستاني ( كرم ) شعر ابن خفاجة ط. المناهل. بيروت ١٩٥١

البصير ( محمد مهدي ) الموشح في الاندلس وفي المشرق . ط. المعارف. بغداد ١٩٤٨

ابن حزم ( المتوفى عام ٤٥٦هـ ابو محمد علي بن احمد بن سعيد ) طوق الحمامة فى الالفة والألاّف - تحقيق حسن كامل صيرفى ط. المكتبة التجارية الكبرى. القاهرة ١٩٦٥

حقي ( ممدوح ) العروض الواضح . ط. اليقظة العربية . دمشق ١٩٤٠

الحنبلي ( المتوفى عام ١٠٨٩هـ ابو الفلاح عبدالحي بن العماد ) شذرات الذهب في اخبار من ذهب . ط. مكتبة القدسي . القاهرة ١٣٥٠

ابن خاقان ( المتوفى عام ٥٢٩هـ ابو نصر الفتح محمد بن عبيدالله ) قلائد العقيان ط. التقدم العلمية مصر ١٣٢٠

ابن خلدون ( المتوفى عام ٨٠٨هـ عبدالرحمن ) المقدمة .ط. البهية ( لم يذكر تاريخ الطبع )

خوري ( رئيف ) التعريف في الادب العربي . ط . ( لم تذكر المطبعة ) بيروت ١٩٦٢ ؛

ابن رشيق ( المتوفى عام ٤٢٥هـ الحسن علي ) العمدة – تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . ط : حجازي . القاهرة ١٩٣٤ .

الركابي (جودت) في الادب الاندلسي: ط. دار المعارف. مصر ١٩٦٠،

ابن سعيد ( المتوفى عام ٦٧٣هـ علي ) المغرب في حلى المغرب ـ تحقيق الدكتور شوقي ضيف ـ ط . دار المعارف ، مصر ١٩٦٤ ،

ابن سناء الملك (المتوفى عام ٦٠٨ هـ ابو القاسم عبدالله بن جعفر ) دار الطراز في عمل الموشحات ـ تحقيق الدكتور جودت الركابي ط :الكاثوليكية : بيروت ١٩٤٩ ؛

الطبري ( المتوفى عام ٣١٠هـ ابو جعفر محمد بن جرير ) تاريخ الامم والملوك ـ تحقيق جماعة من العلماء ـ ( لم تذكر اسماؤهم ) ط. الاستقامة ، القاهرة ١٩٣٩ ؛

ابن عبد ربه ( المتوفى عام ٣٢٩ هـ ابو عمر احمد بن محمد ) العقد الفريد -

تحقيق احمد امين وجماعه ـ ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
القاهرة ١٩٦٥ .

عنان ( عبدالله ) دولة الاسلام في الاندلس ط . لجنة التأليف والترجمة
والنشر . القاهرة ١٩٦٠ .

غومس ( اميليو غرسية ) الشعر الاندلسي ــ ترجمة الدكتور حسين
مؤنس ــ ط : النهضة المصرية . القاهرة ١٩٥٦ .

ابن الفرضي ( المتوفى عام ٣٥١ هـ ابو الوليد عبدالله بن محمد بن نصر )
تاريخ علماء الاندلس . ط بلا غرللدة ـ مجريط ١٨٩٠ م

ابن القوطية ( المتوفى عام ٣٦٧ محمد بن عمر بن عبدالعزيز ) تاريخ فتح
الاندلس . ط : المحروسة : مصر ( لم نعثر على تاريخ الطبع )

الكريم ( مصطفى عوض ) فن التوشيح. ط . دار الثقافة، بيروت ١٩٥٩

الكيلاني ( كامل ) ديوان ابن زيدون : ط : مصطفى البابي الحلبي ،
مصر ١٩٣٢

المراكشي ( المتوفى ٦١٨هـ عبدالواحد ) البيان المغرب في اخبار ملوك
الاندلس والمغرب ـ تحقيق ج . س . كولان وإليفي بروفنسال ـ
ط ، دار الثقافة بيروت ( لم يذكر تاريخ الطبع )

المسعودي ( المتوفى عام ٣٤٦ هـ ابو الحسن علي بن الحسين بن علي )
مروج الذهب : ط ، دار الاندلس ـ بيروت ١٩٦٥

المقري ( المتوفى١٠٤١هـ شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني) نفح الطيب
من غصن الأندلس الرطيب ــ تحقيق احمد فريد رفاعي ــ
ط : عيسى البابي الحلبي . مصر ( لم يذكر تاريخ الطبع )

نيكل (أ. ر ) مختارات من الشعر الاندلسي ــ اشرف على طبعه
وقدم له الدكتور عمر فروخ ــ ط : الكشاف . بيروت ١٩٤٩

ابن هاني ( المتوفى عام ٣٢٦هـ ابو القاسم محمد ) الديوان ط دار صادر
بيروت ١٩٦٤

هلال ( محمد غنيمي ) الادب المقارن . ط العالمية : القاهرة ١٩٦٢

---

1) E Milio Garcia Gomez
cinco, poetas, Musul Manes, P. 149, E, Espasa. Calbe, Madrid,1944

2) Felix, M, Pareja.islamologia, II, P. 887-888 E. Rasonyfe Madrid 1952.

3) Juan, Vernet Gines, Los, Musulmanes Espanoles p. 121 E. Ediciones, Sayma, Barcilona, 1961

4) Micuel, Asin,Palacios, Obras, Escogidas II, III,p82 E. G. S. I.C, Madrid 1984.

5) Miguel, Asin, Palacios, Crestomatia De Arabe Leteral con Glosario Y
Elementos De Cramatica, P, 152, E, Esguela Estodios Arabes. Madrid, 1936

6) Joan, Corominas.
Breve Diccionario Etimolo Gicodela Lengua Castellana P.304,E Gredos Madrid, 1997

7) Varios
Diccionario De Historia De España (I) p.13
E. Revista De Occidente. Madrid 1952

8) E. Levi - Provencal y Emilio Garcia Gomez
Una Cronica Anonima De Abd Al-Rahman III
Al-Nasir. p 16 E. c. s. i. c. Madrid. 1950

9) Angel Gonzalez Palencia. Historia De La
Literatura Arabigo - Andaluza. p 69
E Labor. Barcelona 1945.

10) C. Perez Bustamante Compendio De Historia
De España. 80, E. R. A. H. Madrid 1957

# الفهرس

## للمؤلف

### تحت الطبع

(١) احاديث
عن الادب العباسي

(٢) دراســــات
في النقد والبلاغة والعروض

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٩٤ لسنة ١٩٧١

مطبعة الايمان ٤ / ٣٠٠٠ / ١٩٧١